**بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم**

 **\*\*\*\*\*\*\*\*\*\***

سورة القلم نزلت علي ما نقل بعد العلق.[[1]](#footnote-2) فهي سوره الثانيه نزلت علي رسول الله صلی الله علیه واله. و لعلّ الآيات في هذه السوره يدلنا علي انها من سور الاوائل اذ يسلّي الله تعالی رسوله و يامره بالصبر علي ما يقولون انه لمجنون او مفتون و غير ذالك من الاذي في اوائل البعثه.

و افتتح هذه السوره ايضا كبعض السور بحروف مفرده يقول:

الایه 1- ن و القلم و ما یسطرون... و الحروف المفرده في اوائل السور يخبر عن حوادث في التكوين و التشريع يحدث في المستقبل من الزمان لان الحوادث كالخلايق حروف قبل ان يخلق و كلمات بعد ان خلق فالحوادث و الخلايق قبل ان يخلقها الله اويحدثها موجودات في علم الله تعالي. فكما ان مايتكلم به الانسان في المستقبل من الزمان موجود في علمه قبل ان يتكلم بصوره الحروف و موجود في الكلام و العبارات بعد ان تكلم، كذالك الحوادث و الخلايق في المستقبل من الزمان موجود في علم الله تعالی بصورة الحروف و موجود بصورة الحوادث و الخلايق بعد ان خلقها الله و احدثها. فاحسب ان لك اولادا فيما بعد لا تدري ذكر او انثي، تريد ان تسمّيها باسم. فهذه الاولاد لها وجود علمي في علم الله و ذهني في علم الانسان من الاب و الام يسميانها بعد ان وُلد. فاسمائها حروف في ذهن الاب و الام. مثلا ترزق في المستقبل ولدا تُسمّيه حسنا. فلا يكون اسم الحسن موجودا بل حروفها. كذالك الخلايق في علم الله تعالي اصول من المادة و النور بلا شكل خاص يصنع منهما ما يريد من الخلائق. فاذا اراد ان يخبر احدا بما يخلق بعد، يخبره بلباس الحروف كما حكي الله لذكريا مصائب الحسين (ع )بلباس الحروف فقال: كاف ها يا عین صاد.. و فَسّر هذه الحروف مولانا صاحب الامر علیه السلام بانّ الكاف كربلا وادٍ يكثر فيه الكرب و البلاء و الهاء هلاك الحسين( ع) و الياء عدوه يزيد ابن معاويه و العین عطشه و الصاد صبره. فهذه المصائب قبل حدوثه حروف في علم الله تعالي، و آي القرآن و كتاب بعد ان حدث و وقع. و لذالك روي عن الباقر (ع )قال: ان لي من حروف القرآن لعلماً جمّاً لو وجدت حمله..[[2]](#footnote-3)

فانظر الي الحوادث كم يكون في الدنيا و الآخره. كل ذالك في علم الله و علم الائمه بلباس الحروف. و لذالك قيل ان (ص )في سورة صاد نهر تحت العرش يجري علي الخلايق.[[3]](#footnote-4) فلو عرفت العرش و استواء الله عليه تعرف هذا النهر. العرش في التكوين هي النور و الماده يصنع الله بهما ما يشاء و العرش في التشريع هم الائمه( ع )يحكم الله بهم ما يشاء. فالعرش مجاري العلم و العمل. فكم يجري علي اهل الجنه من نعم الله الماديه و المعنويه يعيشون بها و فيها الي الابد. يجري هذه النعم كلها بارادة الله. و كذالك النون في هذه السوره حقايق علمي و حوادث حتمي قدّرها الله تعالي يحدث فيما بعد. و لذالك ربط الله النون بالقلم فقال:

ن و القلم و ما يسطرون. يعني بذالك انها نهر من العلم يقدّر الله بها الحوادث كما يقول مولانا ابي عبد الله الحسين( ع )عن مصائبه يوم عاشوراء يقول: لا مَحيص عن يومٍ خُطّ بالقلم. رضا الله رضانا اهل البيت نصبر علي بلائه فيوفينا اجور الصابرين...

و جاء في تفسير هذه الحرف ايضا انها نهر في الجنه اشد بياضا من الثلج. كل ذالك نهر العلم و العمل يصنع الله بها مايشاء. فانهار الجنه علم و قدرة يصنع بها اهل الجنه ما يشائون كما جاء في سورة الدهر يصف الله تعالي ما وهب اهل الجنه بقوله:

ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا.. و يعرّف هذا الكأس بانها: عين يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا..

فعرّف النهر بانها يشرب بها لا ما يشرب منها. فاحسب انك عاطش ظمآن تطلب ماء تشرب منه. فتاره يظهر لك نهر تشرب منه و تاره يجعل الله بيدك علما و حكمة تكون ذا قدره تصنع شرابا طهورا و عسلا مصفا و غير ذالك ما تريد من احلي الشُرَب و اَصفيها تشرب منها. فهذا علم و قدره تصنع بها ما تشاء من الشُرَب. و نهر العلم و القدره نهر يصنع بها الانهار لا يشرب منها.

فايقن بان العلم و القدرة التي يجعلك الله بها قادرا تصنع بها ما تشاء نهر في ذاته تجري من تحت علمك و ايمانك. فانت بهذا العلم جنات عدن تجري من تحتها الانهار. فالعلم و القدره نهر يصنع بها العالِم ما يشاء.

فهذه العلم قبل ما تصنع بها شيئا حرفٌ من الحروف و بعد ما صنعت بها شيئا كلمةٌ من الكلمات. فعِلمُ الله و قدرته التي يصنع بها ما يشاء حروف قبل ان يخلق. كذالك علم الرسول و الائمه علیهم السلام نهر في ذواتهم يصنعون بها ما يشائون. فان اولياء الله في ارادتهم كمثل ربهم اذا ارادو شيئا ان يقولوا له كن فيكون.

فانظر الي عصا موسي اذا استسقي قومه يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتي عشرة عينا.[[4]](#footnote-5)

فهناك عينان تجريان احدهما عين يشربون منها بنو اسرائيل و الثاني عين بيد موسي متصل بارادته يشرب بها. فارادة موسي نهر من انهار الجنه. كذالك ارادة ساير الانبياء و الاولياء، يشربون بها ما يشائون و يريدون.

فالحروف في آي القرآن يشير الي ما ثبت في علم الله تعالي و علم الرسول و الائمه( ع ). علم و حكمه و نور و برهان؛ يقولون بها ما يقولون و يحكمون بها ما يحكمون. فما علموا و لم يقولوا حروف و ما قالوا و تكلموا كلمات.

ثم انه تعالي يقسم بالقلم و ما يسطرون. و القلم و سطره متلازمان. و بينّا قبل ذالك فی تفسیر سورة العلق کیفیة القلم الذي بيد الله و القلم الذي بيد الانسان. فان القلم الذي بيد الله علم و حكمة يسطرها و يثبتها في لوح وجود الانسان كما يقول: و نفس و ما سوّيها فالهمها فجورها و تقواها..[[5]](#footnote-6) و هي تاثر الخطوط لا اثرها. فما تكتب بالقلم هي الاثر و ما علمت ما كتبت هي التاثر. و اما القلم الذي بيد الانسان هي ما اثر به القراطيس و لا يتاثر. فلوح وجود الانسان يتاثر بالقلم و بالبيان. فلو قرعت سمعك بكلمة يظهر في وجودك شيئان: الاثر و التاثر. فالاثر هي القرع يجيئ و يذهب و التاثر هي ما فهمت. يثبت في وجودك التاثر و يذهب الاثر. فان الله تعالي يعلّم بالقلم كما نعلم ولكن القلم الذي بيد الله هي ايجاد الاثر، فيتاثر به الانسان. و القلم الذي بايدينا هي اسباب بصور مختلفه يثبت اثرها في القراطيس او السمع يتاثر به الانسان.

و ان قلت ان الله تعالي يكتب الاسماء في وجود الانسان قلنا في جوابك كتابة العلم في وجود الانسان بمعني تاثر نفس الانسان بالكتابه او البيان او الاشاره او غير ذالك؛ لا بمعني كتابة كلمات وحروف يكتب في وجود الانسان فيعلم بها. مثلا انه تعالي يعلّمنا الفواكه و البقول و الاغذيه، ناكل و نشرب فنعلم ما هي. فالعلم في جميع ذالك هي ما يتاثر لوح انفسنا بالاغذيه و الاشربه لا بمعني ايجاد الاثر مثل الكتابة علي القرطاس، وكذالك اسماء الاشياء او الاشخاص مثل الحسن و الحسين و غير ذالك. ففي كل ذالك العلم ايجاد التاثر لا خلق الاثر. و التاثرات ما يثبت في لوح وجودنا من الآثار. يبتلينا ربنا بجميع ما خلق في العالم، يؤثّرالحوادث في وجودنا فنتاثر به. فوجود الانسان بمنزلة اللوح و ما يخلق الله في وجودنا و يبتلينا به بمنزلة الكتابه، و ما نتاَثّر به هي العلم. ان الله تعالی لا يخلق في وجودنا الحروف و الكلمات و لا يخلق في وجودنا كلمات الحسن و الحسين بل يجهّزنا بنور نتاَثّر به معني الكلمات، فهي العلم.

ثم انه تعالي يذكر بعد القلم سطورا يكتب به. و ذكر في سورة العلق علوما يعلم به.

فالقلم في هذه السوره سطورٌ يكتب به، و في سورة العلق علومٌ يعلم به الانسان. و السطور يُكتب علي الالواح غير علوم يعلم بالقلم. فالقلم في سورة العلق قلمُ الله تعالي يَخلق به العلوم في نفس الانسان فيجهز به العقول و يلبّب به الالباب، و القلم بيد الانسان يتبع القلمَ الذي بيد الله. فلو لم يجرِ القلمُ الذي بيد الله يظهر به العلم، لم يتحرك القلمُ الذي بيد الانسان يكتب العلوم.

و هذه الایه قسمٌ يُقسم الله بالقلم و الكتابه؛ ولابدّ لكل قسم من جواب، و جواب هذا القسم قوله تعالي:

الایات2-3-4- ما انت بنعمة ربك بمجنون و ان لک لاجرا غیر ممنون و انك لعلي خلق عظيم...

يَرُدّ الله تعالي قولهم انك لمجنون اومفتون، بل يقول انه فيكم علي خُلُق عظيم.

و المجنون من( جنّ، يَجنّ )ظهور عمل او قول غير متعارف فوق ما يكون الناس عليه او دون ما يكون الناس فيه كالمجانين؛ يقولون و يعملون دون ما يكون الناس من امثالهم. يقول شيخٌ كانه صبيّ و صبيٌ كانه شيخ. و الجنون خروج الانسان عن حد الاعتدال بعامل داخلي. فالانبياء حيث ما يكونون في وجودهم و استعدادهم فوق ما يكون فيه الناس، يقولون اقوالا و يُخبرون اخبارا غير ما يكون الناس فيه؛ يقولون و يفعلون بعامل داخلي في وجودهم و هو الوحي، يقول الجهلة من الناس انه لمجنون. فمَن جنّ جنون المتعارف بحيث لا يدري و لا يدرك ما يفعل يحكم الجاهل و العاقل انه لمجنون. يشتم و يضرب بلا قصد و نيه. ولكنّ الانبياء يقولون و يفعلون فوق ما يعقله الناس. فالعقلاء يرونهم اعقلَ الناس و اعلَمَهم و الجهلاء يقولون انه لمجنون. و الانبياء في اقوالهم و اعمالهم متعارفون، ياكلون و يمشون كساير الناس، لا اَعلي و لا اَدوَن؛ في اعتدال كامل. ولكنّهم يُخبرون عن شيئ و شخص لا یعرفه اکثر الناس. يخبرون عن الله و الملائكه و الآخره؛ حقايق غير متعارف و غير مانوس، فيقول الجهله انهم لمجنون. فيَردّ الله تعالی عليهم انه غير مجنون بنعمة الله. ان الله تعالي اَنعم عليهم نعمة عظيمة من العلم و الحكمه و النّباهه و السياسه و التدبير. فهو يحدث بنعمة من الله لا انه مجنون خرج عن حد الاعتدال.

ثم يقول تعالي: و انك لعلي خلق عظيم. و الخُلق جمعُ الخَلق و هي ما يظهر من الاقوال و الاعمال علي طبق خلقة الانسان، كما قيل كلمة خُلق علي وزن قُفل يدلّ علي ما يَخلص و يظهر خالصا من الافعال. فالاُكله و اللُقمه ماخلص من الغذاء للأكل، و اللقمه ما اُخذ خالصا للإلتقام. فالخُلق ما خلصت و ظهرت من الاعمال علي طبق خلقة الله. مثلا تسليمُك علي الناس حين واجهتَهم تقول: سلام عليكم، خُلقٌ يظهر من خلقتك. كذالك بشاشة وجهك و حُسنُ عملك خُلقٌ يظهر من اقتضاء خلقتك. فكل قول و عمل تجذب به الانسان اليك تكتسب به الموده و الرحمه، خُلقٌ يظهر من خلقتك.

فان الناس خُلقوا علي منهاج واحد و فطرة واحده، لا مَيز بينهم في خلقتهم. فهم نوع واحد متجانس بعضهم من بعض. فالواجب علي متن خلقتهم و فطرتهم ان يكونوا متجاذبين متحابّين كما كانوا متجانسين. فالانسان علي متن خلقته و فطرته يلزم عليه ان يجذب اليه بعلمه و عمله النّافع كلَ انسان يريه و يواجهه. فمن كان كذالك فهو علي خُلق من خِلقته و من لم يكن كذالك بل يواجه الناس جَمَدا جامدا غير متعارف كانه حيوان او جماد لا ينفع احدا، لو لا يضرهم. فهو يمشي علي خلاف فطرته و خلقته. و اَسوء منه من يزاحم الناس بسوء عمله في مواجهته اياهم، كالمشركين و المنافقين.

فكان رسول الله( ص )لايواجه احدا الاّ يُحبه او كان ساعيا مُجدّا ان ينفع كل احد يراه و يلاقيه و اِن كان من اعداء الله. فوصفه الله في هذه السوره بانه علي خُلق عظيم. ثم يقول بعد ما وصف خُلق النبي( ص )انه:

الایه 5 و6- فستبصر و يبصرون بايكم المفتون...

يحكي في هذه الآيه عما قال بعض الناس انه مفتونٌ فُتن بابن عمه و ابنته فاطمه( س )و باهل بيته علیهم السلام.

فقالت قريش مجنون بادّعائه النبوه و قال بعض المسلمون انه مفتون باهل بيته بما يَرَونه يُحبّ عليّا و فاطمه و الحسن و الحسين علیهم السلام، يَضمّهم الي نفسه في الكساء و المباهله. فقالوا فُتن بعليّ يُحبّه اَشدّ حُبّاً يواخيه و يضُمّه الي نفسه. و يخبر الله تعالی في هذه الآيه بانه سَيظهر بين الناس و يُكشف الامر بعد ذالك عما قالوا فيك بجهلهم و نفاقهم انه لمفتون. فيعلمون انك اعقل الناس اذ قُمتَ فيهم دَعَوتَهم الي منجاتهم من الكفر و الشرك و ما كانوا فيه من احقاد الجاهليه. يستبصرون بعد ذالك فيما قلت في علي و اهل بيته، تصفهم بما هو اهلٌ له ليقتدي بهم الناس و ينجو بهم من الهلاك في الدنيا و الآخره. فاذا رأوا عليّا علي ما هو عليه من الحكمه و النباهه و الشجاعه و الرأفه و الرحمة للمؤمنين علموا بذالك صحة ما قلت فيه انه امير المؤمنين و يعسوب الدين و قائد الغُرّ المُحَجّلين علموا بعد ذالك انك لست بمجنون و لا مفتون بل حدّثت بنعمه الله فيهم ليعرفوا امامهم و قائدهم ثم يعرفون بعد ذالك بانهم كانوا مفتونون بالدنيا و زخارفها اذ فتنوا برياسة غير مشروعه. فاصمّتهم الدنيا و اعمت ابصارهم فعاندوا عليا غصبوا حقه فعاندوه فاهلكتهم الدنيا بزخارفها

ثم انه تعالي بعد ما اخبر رسوله بان الناس يكون عليه صنفان و يقولون فيه قولان يخبر عن علمه تعالي باحوال الناس و انحصار هذا العلم له تعالي لانّ الصنف الاول يتظاهرون عليه بالشتم و الايذاء و يقولون انه لمجنون. فهم الكافرون ظاهرا و باطنا يبارزونه بكفرهم و جحودهم يقتلون و يُقتلون. ولكنّ الصنف الثاني لا يتظاهرون عليه بالاثم و العدوان بل هم يؤمنون ظاهرا و معاندون باطنا و لمّا يدخل الايمان في قلوبهم. اسلموا لدفع السيف عن انفسهم. فقالوا انه لمفتونٌ فُتن باهل بيته. فهو الذي يعرف المنافق علي ما هو عليه من النفاق. انّ الناس لا يحيطون علما بالنيات فليسوا صواحب القلوب. انّما يعرف القلوب من خلقها و احاط بها. فهو اعلم بمن اهتدي.

الایه7- ان ربک هو اعلم بمن ضل عن سبیله و هو اعلم بالمهتدین…

فتقسّم الناس هذه الآيه ثلاثه اقسام: قسم ضل عن سبيل الله و تركه كفراً به، و هم المنافقون. جاء بهم الرسول الي الجادة الواضحه فتركوه و ضلوا عن السبيل لا انهم ضلوا في السبيل او الي السبيل. فالانسان تارة يُدعي الي سبيل الله و لا يجيب. فهو الذي ضل الي السبيل، اخذ بكفره بعد ما دُعي اليه. و تارة دعي الي سبيل الله وجيئ به الي متن الطريق فتركه. فهو الذي ضلّ عن الطريق و ترك السبيل بعد ماكان فيه.

و قلنا ذالك لمكان( عن )في الآيه، يقول: هو اعلم بمن ضل عن سبيله. فهم جاوزوا عن سبيل الله و خرجوا عن الطريق بعد ما كانوا فيه. و تارة يُدعي الانسانُ الي سبيل الله، يُجيب و يهتدي، يومن و يسلك. فيظهر في الناس مومنٌ و كافر و منافق. يقول الله تعالی: ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله و هو اعلم بالمهتدین.

فالمهتدي من باب الافتعال يدل علي من اخذ الهدايه من الله فعرف الايمان بقلبه، و غير المهتدي من دخل في واد الايمان و لم يدخل الايمان في قلبه. فهو لا يكون مومنا و ان كان مسلما. فهو من المستضعفين الذين عسي الله ان يعفو عنهم. و اِن هُدي و دُعي الي الله و نآي عنه فهو كافر يقع في حالات مختلفه؛ الي شرك و نفاق يبارز اهل الايمان حال كونه متظاهرا بالكفر، فهو كافر حربي. يجب علي المسلمين ان يحاربوه حتي الفناء. و ان ترك المسلمين و لم يبارزهم في كفره فهو كافر غير حربي، يترك بحاله حتي الموت. و ان بارز المومنين و هو متظاهر بالاسلام، يصلي و يزكي لنفي الصلوه و الزكوه فهو منافق شيطان في ذاته و وجوده، يقول الله تعالی: ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار.

الایه8 و9- فلا تطع المکذبین ودوا لو تدهن فیدهنون…

فهم المكذبون، ينهي الله رسوله ان يطیع المكذبين. يقول يودّون اَن تكون مداهنا في دينك فيداهنون. فكُن مُصرّا مُجدّا في دينك فان وافقوك في دينك فهو، و ان خالفوك فهم الي نارجهنم.ثم يقول:

الایات 10 الی 14- و لا تطع كل حلّاف مهين همّاز مشّاء بنميم منّاع للخير معتد اثيم عُتُلٍ بعد ذالك زنيم اَن كان ذا مال و بنين…

اَتي في جميع هذه الموارد صفات الكفر بصيغة المبالغه. الحلّاف من الحلف، و الهمّاز من الهمز، و المشّاء من المشي، و النمّام من النميمه. فكما انّ للايمان درجاتٌ يدرجه المومن الي حد الكمال، كذالك للكفر دركات يرجع به الكافر عن الحق الي الدرك الاسفل ان يكون ضد البشريه و الانسانيه ليهلك الحرث و النسل. يتشبث بكل عمل يهلك به الفضيله. فيحلف بالله كاذبا كثيرا يستخفّ بعظمة الله لا يظنّ ربه شخصا عظيما كبيرا. فلا يوقّره تعالي بل يُهينه بحلفه كاذبا. فانّ الحالف بالله كاذبا يوهن الله بحلفه و لا يعتني به فيتجرء علي الله بالكفر و العصيان فهو حلاف مهين و هو همّاز مشّاء بنميم، يحقّر عباد الله و يطردهم عن حدٍ يكونون انسانا مستحقّا بما انعم الله عليه. فيتحكم علي عباد الله و يتسلّط عليهم بكفره و عصيانه.

ثم يقول تعالی انه يمشي بالنميمه. و النميمه ان تعيب انسانا عند اخري و تنقل الكلام من احد الي غيره، يؤذيه بما يعيبه و يذمّه فيقطع بهذه النميمه حبل المودة بين المومنين فيبذر بهذه العمل بذر العداوة بين المومنين، يتحوّلان عدوّين بعد ان كانا حبيبين. فيُصرّ علي هذه العمل الي ان يقع بينهما العداوة و البغضاء فيقتتلان و يُنفيان عن الحياه، يتمتع هذا النمّام من موتهما لحيوته و من فنائهما لبقائه و من ضعفهما لقدرته. يظن في نفسه ان حيوته و بقائه متوقفة علي فناء الغير و ماء وجهه علي خزيه و فضاحته. فيُهلك عباد الله ليكون هو حيا، يعمل لعباد الله علي خلاف ما يعمل المومن. ان المومن يعاون غيره من المومنين و يعلم ان حيوته يتوقف علي حياه الناس و هذا يزاحمهم و يظن انّ حياته يتوقف علي فناء الناس. فان حيوة الكافر يدور مدار تنازع البقاءكما ان حيوه المومن يدور علي مدار تعاون البقاءكما يقول الله تعالی: تعاونوا علي البر و التقوي و لا تعاونوا علي الاثم و العدوان. ان الكافر ينازع الضعفاء ليكون باقيا حيا فيمشي بين الناس بالفتنه و النمينه و ايقاع الخلاف و الاختلاف و انارة نار الحرب. فيصف الله تعالي هذا الكافر بانه عُتُل، و بعد ذالك زنيم، ان كان ذا مال و بنين.

و الزنيم هو الكافر المتجاوز بكفره و فسقه الذي بلغ حدا من الكفر الذي لا حياء له في تجاوزه كانه ليس بانسان و لايظن غيره انسانا له حق الحياه فقد بلغ بكفره اسفل درك من الجحيم.

فيعلّل الله تعالی كفر هذا الكافر و نميمته بانه ذا مال و بنين. يظهر الكفر في وجود هذا الكافر بانه ذو مال و ولد بدليل الاعتماد بغير الله تعالي. يظن ان تمام الكمال و القدره انما هي بالمال و الثروه و من كان ذا مال و ولد فهو الانسان فقط، له حق الحاكميه و اعمال القدره علي غيره و من لم يكن له مال و بنين ليس بانسان. انما خلق ليكون في خدمة غيره. فيحجب بالمال و الثروه عن العقل و درك الحقوق و معرفة الله، يسد المال بينه و بين الحق. فلا يظن ان وراء المال و القدره شيئ اخري فلا يريد ان يتعقّل او لا يمكن له التعقّل مادام معتمدا علي المال و زخارف الدنيا

الایه15- اذا تتلی علیه آیاتنا قال اساطیر الاولین ...

فيتحكم علي عباد الله، يكون علي وضع من العلم و الفهم اذا تتلي عليه آيات الله يقول هذا اساطير الاولين،.اذ قام فيهم نبيٌ يخوّفهم عن عذاب الله. یقول فلِمَ لم يعذّب احدٌ من الكافرين الذين كانوا يعدون المومنين، ماتوا و لم ينتقم منهم احد. فيري الكفر و الكافرين و الظلم و الظالمين و لم يري الانتقام منهم و لم يعلم ان العذاب الموعود انما هي في الآخره لا في الدنيا، و هو لا يعقل الاخره كما لا يعقل الله و لم يكن له عقل و علم يَدرك الايمان بالله تعالي. فهو من قوم يقول الله تعالی فيهم لهم قلوب لا يعقلون بها و آذان لا يسمعون و اعين لا يبصرون.

ثم يقول بعد هذه الآيه ايعادا لهذا الكافر المعاند:

الایه16- سنسمه علي الخرطوم...

فشبّهه بالفيل له بتكبره خرطوم طويل. هزء به انه لا يكون انسانا بل حيوان خبيث من المسوخات، سيجعل الله له خرطوما يُعرف انه من المسوخات. يثبت ان دماغ هذه المسوخات كبير في حجمه و صغير حقير في دركه. لانّ عظمة الدماغ انما هي بالتعقل لا بالحجم صغيرا او كبيرا. فدماغ الانسان اصغر من دماغ الفيله من حيث الحجم و اكبر بملائين مرتبه من حيث الدرك و التعقل. و لعلّ دماغ النمل اكثر دركا من الفيله. فالدماغ ليس بكميته انما هي بكيفيته من التعقل و التامل. فهذا الكافر ضيّع دماغه من حيث الكيفية و الدرك و اخّره من التعقل اذ راي المعجزات مثل القرآن سحرا باطلا فقال ان هذا الا سحرٌ يؤثر ان هذا الا قول البشر

ثم انه تعالي يقص للمومنين قصة اصحاب الجنه كانوا في اليمن.

و هذه القصه و ان كان بظاهرها يمثّل للانسان صورة جنةٍ مثمرةٍ كانت لاهلها نافعةٌ ينتفعون بها ماداموا يشكرون نعم الله و يؤتون حقّه يوم حصاده، ثم كفروا بالله و مَنعوا حق الفقراء فحُرمو ا من ثمرات الجنه، اِلّّا اَنّ الله تعالي يُمثّل للمسلمين حدائق و اشجارا يظهر منها ثمرات العلم و الحكمه فيزكّون بهذه الثمرات انفسهم و يعرجون بها درجات العلم و الحكمه ماداموا شاكرين و يوتون حقه بتعليم ما علموا. فكفروا بهذه النعمة الجزيلة الجليله و مَنعوا الناس حقهم و تركوهم في اودية الجهل و الضلاله كما يقول: بدّلوا نعمة الله كفرا و احلّوا قومهم دار البوار..

فيقول انا بلونا هؤلاء الكفره من قريش اذ كانوا في حرم الله آمنين متمتعين تجبي اليهم الثمرات من كل بلد و مكان ياتون الي زيارة بيت الله فيعظّمونهم بتعظيم حرم الله و يعينونهم ببركة البيت و اهل البيت. فداموا في امن و سلامه لا يريدهم الكفرة الفجره بسوء او يدافع الله عنهم يقمع هؤلاء الكفار كما قمع اصحاب الفيل و ارسل عليم طيرا ابابيل. فكان يجب علي العرب و خاصه علي قريش من اهل الحرم ان لا يمنعوا الناس الذين يريدون زياره بيت الله من ثمرات العلم و الحكمه التي يُفاض بها علي الزائرين بظهور النبي و الائمه من بعده علیهم الصلوة و السلام. فهم عليهم السلام بعلمهم و حكمتهم من ثمرات شجره الحرم يستفيض بهم زائروا بيت الله. فمَنعت كفرةُ قريش اهل الحرم من هذه الثمرات و البركات اذ كذّبوا رسول الله( ص )و اخرجوه من الحرم فهاجر الي المدينه.فيقول الله تعالي:

الایات17 الی 27- انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنه اذ اَقسموا ليصرمنّها مصبحين. و لا يستثنون. فطاف عليهم طائف من ربك و هم نائمون. فاصبحت کالصریم. فتنادوا مصبحین. ان اغدوا علی حرثکم ان کنتم صارمین. فانطلقوا و هم یتخافتون. ان لا یدخلنها الیوم علیکم مسکین. و غدوا علی حرد قادرین. فلما رأوها قالوا انا لضالون. بل نحن محرومون...

فانه كما قيل كان في اليمن شيخ كبير و كانت له حديقة فيها من كل الثمرات و كان لا يجتني ثمرتاً من جنته ياتيها الي اهل بيته الا و يؤدّي منها حق الفقراء و الضعفاء امتثالا لامر الله.تعالی اذ يقول: و آتوا حقه يوم حصاده...

فلمّا قبض الشيخ و ورثه ابنائه راحوا الي جنتهم بعد صلاة العصر و رَأوا فيها ثمراتاً كثيرتاً ففُتنوا بكثرة الثمرات و قالوا ما لنا نوتي من هذه الثمرات الفقراء. فطَغوا في انفسهم و بَغَوا و قالوا انّ اَبانا كان شيخا خِرِفا مذهوبا عنه عقله. فتعاقدوا فيما بينهم ان لانؤتي شيئا منها الفقراء و الضعفاء ليكثر اموالنا. رضي بذالك منهم اربعه و كانوا خمسة نفر، و اَبَي الخامسُ منهم و كان اوسطهم عقلا، كما يحكي الله عنهم يقول:

الایه 28- قال اَوسطهم اَلم اقل لكم لو لا تسبحون.

فالذي كان اَصغرهم سنّا و اكثرهم عقلا قال لاخوانه لِمَ خالفتم امر ربكم في ايتاء حق الفقراء؟

فهذه القصه كامثاله من ساير القصص لها ظاهر و باطن و في باطنه باطن الي سبعه اَبطن، كلها يرجع الي اِنعام الله علي عبيده من اَيّ نعم. فيمنعون حق الله تعالي فقال اوسطهم و اعقلهم الم اقل لكم لو لا تسبحون؛ يعني اني قلت لكم تواكلوا علي ربكم و سبّحوه ليبارك لكم، فما قبلتم قولي و ما اَطعتم امر ربكم باداء حق الفقراء يوم حصادكم فَاَهلك ثمراتكم. فقالوا في جوابه:

الایتین 30،29- سبحان ربنا انا كنا ظالمين. فاقبل بعضهم علی بعض یتلاومون...

فاصبحوا يلوم بعضهم بعضا ثم قالوا:

الایتین 32،31- يا ويلنا انا كنا طاغين عسي ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الي ربنا راغبون...

فرجعوا عن غيّهم و تابوا الي ربهم و اعترفوا بذنوبهم و كان الله يعلم انهم يتوبون الي ربهم بتلك الابتلاء. فان الله تعالي لا يبتلي مومنا ببلاء الا و يعلم ان المؤمن يتوب الي ربه بهذا الابتلاء.

ثم يقول الله في آخر هذه القصه:

الایه 33- كذالك العذاب و لعذاب الآخره اكبر لو كانوا يعلمون...

يخبرنا في هذه القصه بانه عذبهم في الدنيا باهلاك الثمرات ليتوبوا و لا يعذبوا في الاخره.

فالاسلام بمنزلة هذه الجنه ذو نعمة كثيرة من العلم و الحكمه و التمدن و الرئاسه و السياده فعجل قوم علي هذه الثمرات و احرموا الفقراء و المومنين المستحقين المحتاجين الي هذه الثمرات و ضيّعوا حق المومنين بمامنعوهم من العلم و الحكمه و بما حالوا بينهم و بين الائمه المعصومين

فان الله تعالي يحكي هذه القصه لقريش يضرب به مثلا يمثّل حالهم الذي هم فيه من الامن و الامان و التمتع في حرم الله باصحاب هذه الجنه و يقول انا بلونا اهل الحرم كما بلونا اصحاب هذه الجنه.

فان حرم الله تعالي كان لقريش و من حولهم من العرب يتمتعون بما اَهوَي الله تعالی افئدة الناس ياتونهم لزيارة بيت الله يجرّون اليهم من المآكل و المشارب، يعظّمونهم بتعظيم البيت. فكانت قريش يعيشون ببركة الحرم بالاستقلال و السياده و ذا مهابة في قلوب الناس لا يريدهم جبارٌ الّا و خذله الله و دفع شره كما فعل بالملوك من التبابعه و كما فعل باصحاب الفيل جعل كيدهم في تضليل. فكان اهل الحرم في امن و امان و يتخطف الناس من حولهم يذلهم الملوك و الجبابره.

فانك لا تري في تاريخ حياه البشر ملكا و مملكة، بلدا و قريه الا و يتداول عليه الدول، يتسلط عليهم و يّذلهم. كل زمان بيد مَلِك من الملوك. فهم كالكُره، يضرب برجل هذا تارة و برجل هذا اخري يتداولته الايدي لا يتعزز فيها قوم الا يتذلل بيد الاخري فلا تجد دار امن في العالم الا اهل الحرم حول مسجد الحرام و كان الله يدافع عن اهل حرمه الشريف يذود عنهم الشرور و الآفات اجابةً لدعاء ابراهيم و اسماعيل حين اذ رفعا قواعد البيت قالا: ربنا اجعل هذا بلدا آمنا و ارزق اهله من الثمرات و ابعث فيهم رسولا يتلو عليهم آياتك... اجاب الله عنهم فجعلها دار امن و رزقهم من الثمرات و كان من افضل الثمرات ان بعث فيهم رسولا مثل محمد( ص )يتلو عليهم من آيات الله. فكان يجب علي اهل مكه ان يوسّعوا الطريق علي آمّين البيت الحرام و يذروا الناس من الطائفين و العاكفين يعظّمون الشجرة الطيبه النابته من بطن الحرم و وسّعوا الناس يستظلّون بها و يستضيئون بنورها و ياكلون من ثمراتها. فانقلبوا كما كان اصحاب الجنه اذ اَقسموا ليصرمنّها مصبحين، تواكلوا علي انفسهم ان يخرجوا اهل الحرم منها لم يشكروا ربهم و لا يستثنون فاصبحوا كَاَن لم يبعث الله فيهم رسولا و لم يقرء عليهم كتابا و كذالك حال المسلمون في ظل شجرة الاسلام. منعوا الناس عن ثمرات البيت و اهل البيت من العلم و الحكمه. اخرجوه عن بيت بناها الله تعالی له الي المدينه

فيقول الله تعالی في آخر هذه القصه: كذالك العذاب و لعذاب الآخره اكبر لو كانوا يعلمون.

فيخبر في هذه الآيه ان العذاب علي نوعين، نوع منهما بمعني سلب النعمه و محرومية الانسان عما خلق الله له من النعم مما تلتذ و تشتهيه كما سُلب من اصحاب الجنه في هذه السوره ثمراتها فحُرموا من ارزاق الله. كذالك سُلب من قريش نعمة النبوه و ثمراتها من العلم و الحكمه فحُرموا و سُلب من كثير من المسلمين نعمة الولايه و هو افضل النعم. فحُرموا من العلم و الايمان و التقوي و كذالك ما يجري بمقادير الله علي البشر من سلب النعمه و ابتلائهم بكدّ العيش.

و هناك عذاب اخري و هو من اكبر العذاب، اعاذنا الله تعالی منها و هي عذاب الآخره. لان عذاب الدنيا يرفع عن الانسان بموته. فاذا مات الانسان لا يعذب بشیئ. فلا يقال ان الموتي معذبون او محرومون. فان الانسان بعد موته في قبره لا يكون شيئا فيعذب او ينعم. العذاب للكافر او النعمة للمومن انما يكون في القيامه بعد الحساب و يلزم للحساب ان يجتمع الاولون و الآخرون. فاذا خرجوا من قبورهم يوم القيامه و سُئلوا كما يقول: و قِفوهم انهم مسئولون... خرجوا الي العيش و الحياة يبقون فيما يُحدث لهم من النعم او العذاب الي الابد. فمن حُرم عن نعم الله و ابتلي بالجوع و العطش في الآخره يبقي فيها و ليس له ماء و لا غذاء و لا يقدر ان يدفع العذاب الي الابد كما يقول الله تعالی: خالدين فيها ابدا.. فالعذاب الآخره اكبر من عذاب الدنيا بدليل موت الانسان عن العذاب الدنيا و بقائه في العذاب الآخره.

و هناك بحث اخري منوط بهذه القصه في كتاب الله و هي ان الله تعالي يقول في هذه القصه انه تعالي ابتلي اصحاب الجنه بما نووا المعصيه ان يجمعوا علي ثمرات جنتهم و لا يدخل عليهم مسكين فيطلب منهم شيئا من الثمرات. فعذّبهم الله تعالی بنيّتهم هذا. فطاف عليهم طائف فاحاط الله ثمراتهم بالعذاب قبل ان يجمعوها و يمنعوا المساكين حقهم.

هذا مع انه رُوي لنا من الروايات ان الله تعالي لايعذب العاصي بنية المعصيه قبل ان يفعلها و يثيب المطيع بنية الاطاعه قبل ان يفعله. فتري في هذه القصه انه تعالي احاط بعذابه الثمرات بنية منع الفقراء حقهم.

فنقول في الجواب ان لله تعالي عذابين: ابتلائي و انتقامي. فتارة يبتلي الله عباده بالبلاء بلا ذنب كما يقول: و اذا ابتلي ابراهيم ربه بكلمات... و يقول و لنبلونكم بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الثمرات.. و تارة ينتقم من عباده فيعذبهم بانواع العذاب. فهناك ابتلاءٌ و انتقام و لكلٍ منهما شروط.

فالابتلائات باي نحو كان يخص المومن في الحيات بانواع البلاء كمثل الفقر و الامراض و ايذاء الكافرين و المنافقين. يبتليه ليتعلم بالابتلاء. او يعلم ان المؤمن يرجع الي الحق بعد الابتلاء فيبتليه ببلاءٍ ليعوذ الي الحق فيرجع و يستعين الله لدفع العذاب ثم يعينه الله و يكشف عنه الكرب و البلاء. او يبتلي المومن حين اراد المعصيه ولاسيما المعاصي المهلكه كمثل قتل نفس محترمه او عقوق الوالدين او منعُ الناسِ حقوقَهم كما مَنَع اصحاب الجنه الفقراء حقهم. فاذا اراد المومن عصيان ربه يبتليه ببلاء يقعد به عن العصيان لئلا يعصي فيهلك. او اذا علم انه يعصي فيعذّب بعوارض العصيان ثم يتوب، يَدَعه ليعصي و يتوب. كل ذلك يكون في الحياه الدنيا، يقع لِلّذي يحبه الله بايمانه الموجود او يعلم بانه يومن بعد الابتلاء. يبتليه ليعلم و يتكامل في ايمانه.

فان اصحاب الجنه كانوا من اب مومن صالح يؤدّي حق الفقراء و كانت الفقراء يحبّونه و اولاده و يَدعون له و لاَهل بيته، و علم الله انهم اذا منعوا حق الفقراء يوم حصاده ينقلب محبة الفقراء عداوةً لهم اذ مُنعوا حقهم الذي كانوا ينتظرون يوم حصاده. فاهلك الله ثمرات الجنه يوم حصاده ليعلم الفقراء ان الثمرات هلكت بتقدير من الله تعالي فيعذّروا اصحاب الجنه و لا يشكون عنهم الي ربهم.

هذا كلها عذاب الابتلاء يخص المومنين.

و اما عذاب الانتقام من الله يخص الكفار. فلا يعذبهم الله تعالی بمعاصيهم في الدنيا لِعِلمه تعالي انهم لا يتاَدّبون بمصائب الدنيا و لا يتركون الكفر و العصيان بمصائب الدنيا بل يزيدون كفرهم و عصيانهم. فيذرهم الله بحالهم، لا يعذبهم و لا يبتليهم و يمهلهم الي الآخره كما يقول: و لا يحسبن الذين كفروا انّما نملي لهم خيرا لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما و لهم عذاب اليم... و يقول: سنستدرجهم من حيث لا يعلمون... فعلي هذا التحقيق يقدّر الله تعالي للناس في الدنيا عذابين ابتلائي و انتقامي. فالابتلائي يظهر بارادة الله و يخص المومنين الذين يريد لهم خيرا بهذه المصائب. يُبطِئهم بهذه الابتلائات عن الاقبال الي الدنيا و التوقف فيها و يُسرّعهم الي الآخره. و الانتقامي من العذاب يخصّ الكافرين و المعاندين، يظهر لهم بايديهم و اعمالهم في خط كفرهم و اقبالهم الي الدنيا بترك الله اياهم في عيشهم و حياتهم.

فيقال يظهر عذاب الكفار بمشية الله لا بارادته بل يظهر بارادة الكافرين لا بمشيتهم. و مشية الله غير ارادته، كما ان مشيه الكفار غير ارادتهم. فمشية الله تعالي علمه بما يفعل الكافرين

و لا يفعل ما يفعلون بل يتركهم بحالهم، لا يمنعهم عما يفعلون و ان كان يقدر علي ذالك و مشية الكفار علمهم و فعلهم في طريق كفرهم الي ان يصنعوا نار جهنم.

 ثم يحکي الله تعالي بعد هذه القصه و ما اراد من تفسيرها و تاويلها ما يريد للمتقين في الآخره يقول:

الایه 34- انّ للمتقين عند ربهم جنات النعيم...

يهيئ لهم في الآخره مايشائون كما يقول: فيها ما تشتهيه الانفس و تلذّ الاعين...

 و يطرح سؤالا بين المومنين و المجرمين. يطلب منهم ان يقولوا ما يعلمون في طرح هذه السؤال، يقول:

 الایات 35 الی 38- أفنجعل المسلمين كالمجرمين. ما لكم كيف تحكمون. اَم لكم كتاب فيه تدرسون. انّ لکم فیه ما تخیرون...

 فيستفهم من المسلمين مقدار فهمهم لا اَنّ الله تعالی لا يفهم فيطلب منهم الفهم. كما هو شأن الاستفهامات في آي القرآن و اولياء الله. فيقول تظنون اَيُها المجرمون انا نجعل المسلمين كالمجرمين في تباين اعمالهم و اخلاقهم في صراط الكفر و الايمان و الاطاعه و العصيان؟ كيف يمكن ان ينتهي هذه الصراطان المتباينان بسالكَيها الي مقصد واحد؟ كيف تحكمون ايها المجرمون؟ فان عقلتم علمتم عاقبة امركم. فان كان لكم كتاب فيه تدرسون و تاخذون علمكم منه بانّ عاقبة امركم خير من المومنين او تساوونهم في الخير و الثواب فاَرونا ما تعلمتم من هذه الكتب بان الله جعل الامر بيدكم و ارادتكم ان لكم ما تخيرون لانفسكم. او لعلكم تظنون بيننا و بينكم تعاهد و تعاقد او قول و اَيمان عهدنا لكم ان نَبلغكم من طريق كفركم و عصيانكم الي ما تريدون من انواع النعم و الخير و البركه يوم القيامه. فايّكم يجعل نفسه زعيما بهذه المعاهده، يخبر ساير الكافرين باني عاهدت الله ان يجعل خيركم من طريق شركم و جنتكم من طريق جحيمكم. فايّكم بذالك زعيم؟ هل يمكن لكم ان تقولوا عاهدنا الله ان يجعل سعادتنا من طريق شقاوتنا فوعدناربنا بذالك. كيف يمكن بارادة الله او بارادة خلق الله ان يظهر الخير من الشر او الايمان من الكفر او الجنة من طريق الكفر و العصيان.

 ثم يقول و لعله كان لهم شركاء وعدوهم ان يجعلوا خيرهم من طريق شرهم فلياتوا بهؤلاء الشركاء. فانّ الكافرين يجعلون اندادا لله يحبونهم كحب الله و يزعمون ان تلك الانداد يخطّون لهم ما يشائون و هم ينالون بهذه الخطوط ما يريدون من الخير و البركه في الدنيا و الآخره. ينالون باندادهم ما ينالون بالله تعالي. فيسئلهم من الذي يخلق خلقا من الفواكه مثل ما يخلق الله ليكون شريكا لله. فيقول:

 الایات 39 الی 41- أم لکم اَیمان علینا بالغة الی یوم القیامه ان لکم لما تحکمون. سَلهم اَیّهم بذلک زعیم. اَم لهم شرکاء فلیأتوا بشرکائهم ان کانوا صادقین...

 فاظهر و اعلم من تلك السؤالات انه لا ملجاء للكفار في الدنيا و الآخره يجرّ اليهم ارزاقهم و يدفع عنهم العذاب الاليم. ذلك بان الله مولي المومنين و ان الكافرين لا مولي لهم. و لعل الله تبارك و تعالي يتعرض في هذه السؤالات النصاري من امة عيسي فيما وضعوا لانفسهم و لامة نبيهم عقايد كذبا علي الله تعالي و علي المسيح و قالوا فيما قالوا بان المسيح عاهد الله ربه ان لا يعذب امته في الآخره و ان كانوا كاذبين او عاصين او ظالمين و طلب منه تعالي ان يعفو عنهم يوم القيامه و ان كان كفرهم و عصيانهم اوجب ان يعذبهم الله. فقالوا ان المسيح سئل من ربه او من ابيه ان يعذب المسيح علي كفر امته و ظلمهم يوم القيامه. فقالوا ان الله قدّر للظالمين و العاصين من امة المسيح ان يتحمل المسيح عنهم عذاب يوم القيامه بنفسه لنجاة امته فيعذب المسيح يوما او اياما عن امته ثم ينجيه و امته فيجوز بهم من الصراط الي الجنه.

 فنادت علماء المسيح امته فيما ابدعوا لهم بانه لا يجب اطاعة المسيح فيما قرّر لهم من الواجبات او المستحبات و لا يجب عليهم ترك المحرمات و الكبائر فضلا المكروهات. فاَلغَوا كل حكم من احكام المسيح و سنته و ان كان من قبيل الخِتان مع انه كان من سنن ابراهيم الخليل، جري في عقبه. فالقت امة المسيح احكام المسيح و سنته كلها و قالوا اعملوا ما تريدون ان الله لا يعذبكم. فان المسيح يتحمل عنكم خطاياكم يوم القيامه. فشرعوا لهم قبال كل معصيه صغيره او كبيره، صدقة من اموالهم يؤدّونه الي قائدهم فيعفو عنهم بالصدقه. فليكرّروا المعاصي و ليتصدّقوا، و لا يدرون ان المعاصي جحيمهم. كمثل من يضرم علي نفسه نارا فيتصدّق. فيبيعون منهم الجنة قبال ما ياخذون عنهم من اموالهم. كَاَنّ الجنه من اموالهم يبيعونها ممن يشائون. مع ان الله تعالي هو الذي يقبل التوبه وياخذ الصدقات و يدخل من يشاء الجنه و من يشاء النار. فجعلوا احبارهم و رهبانهم شركاء الله كانهم عاهدوا الله او عاهدوا عيسي ابن مريم ان يفعلوا ذالك و يقبل منهم الله ان يدخل هؤلاء العاصين الجنه و ان كانوا يسلكون النار بعصيانهم. فهم سواء في حسناتهم و سيئاتهم لا يدخلون الجنه او النار باعمالهم و لايدرون انه لا يمكن ان يطلب رضي الله بالمعاصي و يدخل احد الجنه بالعصيان. المعاصي طريق النار و الحسنات طريق الجنه و الطريق حاكم علي كل من يسلكه و لا يمكن لله او الانبياء ان يدخلوا احدا الجنه من طريق النار او النار من طريق الجنه، و لا يمكن ان يتحول الشیئ او الشخص عما هي عليه. فان الانسان يصنع تارة في رحم امه و يصنع تارة اخري بعد التولد بعلمه و عمله. فيصنع مومنا بايمانه و شيطانا بشيطنته و منافقا بنفاقه و نبيّا و رسولا باطاعته و كافرا مشركا بشركه و كفره. فلا يتحول عما صنع نفسه بعمله الا ان يتوسل بالله العظيم. ـ

ثم يخبر الله تعالي عن حال المشركين يوم القيامه يقول:

الایه 42 و 43- يوم يكشف عن ساق و يدعون الي السجود فلا يستطيعون. خاشعة ابصارهم ترهقهم ذله و قد کانوا یدعون الی السجود و هم سالمون...

فيخبر الله تعالی عمّا تحوّلوا اليه في طريق شركهم و سيئه اعمالهم. فيقول اذا اُمروا بالتسليم و السجود لله لا يستطيعون ان يسجدوا لانهم لم يعرفوا ربهم و لم يطيعوه ليتحوّلوا مومنا صالحا ليتلذّذوا باطاعة ربهم و يشكروا له ان جعلهم مومنا صالحا. فمن لم يدرك عظمة ربه لا يمكن له ان يسجده فلا يقدر ان يخضع من لا يعرف، و لا يري احدا فوقه. فان الكافر لا يعرف ربا فوقه ليخضع له. فلا يقدر ان يسجد من لا يراه و لا يعرفه.

ثم يقول فليات امة المسيح بشركائهم الذين عاهدهم الله تعالي ان لا يعذب احدا من امة المسيح بعصيانه و شركه يوم القيامه. فكيف يمكن لامة المسيح او لعلمائهم و احبارهم و رهبانهم ان يقولوا نحن شركاء الله في دين الله. لنا ان نقول و علي الله ان يقبل. فيعلمون في هذا اليوم انهم كذبوا علي الله فيما قالوا و ادّعَوا بان امة المسيح لا يعذبون علي عصيانهم او ان المسيح يتحمل عنهم، مع ان الله تعالی يقول: و لا تزر وازرة وزر اخري..

و سُمّيت يوم القيامه انه يوم يكشف عن ساق. يكشف عن ا لحقايق فيظهر كما هي، و هي يومٌ تبلي عن السرائر. يكشف عن الابصار غممها و عن القلوب بهمها. فيري كل نفس ما قدمت لغد.

فكما ان المرء او المرأه يكشف عن ساقهما فيبدو لهم ما اخفوا من المعاصي، يُكشف عن ساق الامم كذالك ما عملوا و ما قالوا. و في هذا اليوم يُدعون الي السجود فلا يستطيعون ان يسجدوا ربهم في حال كفرهم لان السجده ينشاء من الايمان و العامل الذي يحرّك الانسان الي السجده هو روح الايمان و لا يوجد روح الايمان في قلب الانسان الا ان يومن الانسان بربه و يسجد له مخلصا، حالكونه لا يري خوفا و طمعا في السجده و تركها. يحمله علي السجدة الخشوع قبال عظمة الله، لا بعد ان یري الجحيم و الجنه، فیسجده خوفا و طمعا.

فلا يدخل روح الايمان في قلب الانسان بعامل غير الاخلاص. و لو لم يدخل روح الايمان في قلب الانسان يكون كالميت قبال الدعوة الي الله فلا يقدر ان يسجد لله و يقوم الي العباده. لانّ كل حركة في وجود الانسان يحتاح الي عامل روحي خاص يتحرك به. كالحيوان يتحرك الي الغذاء بروح الحيوانيه و الانسان يتحرك الي ما يريد بروح العلم و المومن يتحرك الي العباده بروح الايمان. فلا يدخل روح الايمان في وجود الانسان بالتهديد و التطميع حين يري الجنة او النار. فروح الايمان عاملٌ محركٌ للعبادة و الاطاعه.

فكان الانسان يقدر في الدنيا ان يكتسب هذا الروح فيعبد الله و يسجده، فكفر بالله العظيم ثم نشاء كفره بالعصيان الي ان حضره الموت ثم خرج من قبره بهذا الكفر و الكفر سد و حاجز عظيم عن درك مقام الرب و الخشية منه تعالي. فلا يقدر ان يسجد ربه لانه وقع في حالة بين كفر نشاء في وجوده و ايمان زُوي عنه. فلا يقدر ان يسجد ربه. و انه كان في الحياه الدنيا يوم دُعي الي اطاعة ربه في حالة بين الكفر و الايمان كالمتوقف علي الجاده. لايمشي فيقرب و لا يرجع فيبعد، و كان يقدر ان يطلب المقصد فيسلك الي ربه. فترك المقصد و رجع القهقراء بالظلم و العدوان. فنشاء الكفر في وجوده فانقلب كالمتخبط بمس الشيطان فلا يقدر بحاجز الكفر ان يسجد ربه في الآخره.

ثم يخاطب الله نبيه يامره ان يذره و الذين يكذّبون القرآن يقول:

الایه 44 و 45- فذرنی و من یکذب بهذا الحدیث سنستدرجهم( الي عذاب جهنم )من حيث لايعلمون و املي لهم ان كيدي متين...

فاشار الله تعالی في هذين الآيتين الي حقايق يَعرفه المخلصون فقط، و هي ان من ترك طريقا اَطرقه الله تعالی له لابد ان يسلك طريقا اَطرقه بنفسه لنفسه، و هي طريق الظلم و العدوان، ينتهي الي الانفجارات الهسته اي، و هي جحيمهم يُبتلون بها يوم القيامه. فيتدرّجه الله بظلمه الي جحيمه. فكان رسول الله (ص) اشتاق حرصا و ولعا لينجي الكافرين من الكفر و يسلك بهم الي طريق الخلوص و الايمان. كاَنّ رسول الله (ص) اراد ان يسلك الكفار جبرا الي دين الله لئلا يعذبون بكفرهم و عصيانهم فيقول الله تعالی ذرني و من يكذب بهذا الحديث اَي لا تخاطبني فيهم و لا تسئلني لهم خيرا لانهم تركوا طريق الخير وراء ظهورهم و كذّبوا بحديث مثل القرآن يهديهم الي طريق الخير و السعاده. فماذا بعد الحق الا الضلال؟ فكيف يمكنك او يمكن لله ان يهديهم في طريق الضلاله و يُسعدهم في طريق الشقاوه و يذهب بهم الي الجنه في طريق جحيمهم؟ فلا يقع هذا بارادة الله. فان الله تعالي ابي ان يجري الامور الا باسبابها. فلا يمكن لله ان يتسبّب بالخير الي الشر او بالشر الي الخير او يسلك بالناس في طريق الضلالة و الكفر الي الايمان و الهدايه. فلكل مقصد طريق يخُصّه، لايتحوّل عمّا هي عليه بارادة الله اوبارادة خلق الله. لا يتحول الوجود عدما و لا العدم وجودا. فالمومن في طريق ايمانه يسلك سبيل ربه، يسعد حتما و يدخل الجنه. و الكافر في سبيل كفره سالكا سبيل الشيطان و الطغيان يصل حتما الي ناره الاّ ان يتوب و يرجع. فليس لنبي و لا امام و مومن و مومنه ان يسئلوا ربهم يحوّل الخير شرا او الشر خيرا. المهيّات محفوظة علي ما هي عليها. لايدع لوازمها و ذواتها. العذاب يلازم الكفر و الطغيان كما ان الزوجيه يلازم الاربعه و الاضلاع الثلاثه يلازم المثلث. فلا يمكن ان يظهرالفرد زوجا و الزوج فردا. فمحالٌ ان يدع الشیئ لوازمها. فاجتماع النقيضين و المثلين محالٌ بارادة الله او بارادة خلق الله. و المَحاليّه ليس من جهة ان الله لا يقدر بل من حيث انك جعلت العدم في الوجود. سئلت الله ان يخلق العدم، يجعل العدم وجودا و الوجود عدما.

و العدمُ غير الاِعدام. ان الله تعالي يوجد الموجَدات لا من شيئ، لا اَنّه يجعل المعدومات موجوده. و كذالك يُخرج الموجود الي العدم و لا يمكن ان يجعل الوجود عدما و العدم وجودا. لانّ الاَعدام عدمٌ في ذاتها و مفهومها. لا يكون شيئا ليتعلق به ارادة الله. فلو سئلت ربك ان يخرج من الكفر سعاده او من الايمان شقاوه سئلته ان يجعل العدم وجودا. فلا يتعلق ارادة الله بالعدم.

فلذالك يامر رسوله ان يذر اللهَ و المكذبين. سيستدرجون من حيث لا يعلمون. يعني يتركهم الله يرتجعوا درجة درجة يدّخرون لانفسهم مكان كل سعاده شقاوه و مكان كل خير شرا الي ان ينتهوا نار الجحيم. يعملون شرّا و يحسبونها خيرا. فهم كما يقول الله تعالی: قل هل اُنبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحيوة الدنيا و يحسبون انهم يحسنون صنعا...

فهم في طريق صُنع الجحيم يحسبون انفسهم في طريق صُنع الجنه.

و الاستدراج و التدريج من الدرجه بمعني فوقية شيئ علي الاخري او شخص علي شخص اخري. و ظهور الدرجه بمعني الثاني. تفوق شخص علي الاخري كما يقول الله تعالی: و للرّجال عليهن درجه... جعل للرجل علي المرئه درجة. يعني فوّق الرجل علي المرئه. و يسمّي السُلّم الذي يصعد به الانسان مدرجه، لانه يَدرج بالانسان درجة درجة الي فوقها.

و يمكن ان يقال ان الدرجه بمعني تفوّق الشیئ علي الشيئ يعلو بهذا التفوق او يسفل، كما يظهر من هذه الآيه ان الله تعالی يستدرج الكفار. و الكفار لايتفوّقون في حركاتهم بل يسفلون الي الدرك الاسفل. فيطلق الدرجه علي الحركات الصعوديه او الهبوطيه. و الكفار بكفرهم يهبطون و لا يصعدون. فوصف الله تعالي دركاتهم درجات.

ولكنّ الدرجات يطلق علي الحركات الصعوديه. و لعل الله تعالي هزَءَ بالكفار اذ وصف دركاتهم درجات علي طبق عقايدهم. لانهم يظنون انهم يصعدون باعمالهم و لا يدرون انهم يسفلون الي الدرَك الاسفل. يظنون انفسهم في صعود و تكامل. كالظالم يظلم احدا فيهبط بظلمه و يظن نفسه صاعدا حتي اذا تسلط بظلمه علي الناس. يظن نفسه في هذا المقام فوق الفائقين و هو في الواقع اسفل السافلين و هبط بظلمه اسفل درك من الجحيم. يجمع المال يظن نفسه موفقا مترقيا بجمع الاموال من غير حِلّهِ و هو محكوم بجمع هذه الاموال و غصب الحقوق. فكل مال وبالٌ له ولكنه يظن انه عالٌ بظنّهِ متعال. فوصف الله دركاته درجات، هزء به.

فالكافر و العاصي يهبطان باعمالهم هبوطا الي الدركات و يظن نفسه يصعد صعودا الي الدرجات و لذالك يقول الله تعالی: سنستدرجهم من حيث لا يعلمون

ثم يقول و املي لهم ان كيدي متين... و الاملاء بمعني الاِمهال في حال كونه مليّا و غافلا، لا يدري ما يفعل و يصنع. فالاِمهال بمعني ترك الممهَل في مهلته ليعيش علي مايريد و لا يبتليه بذنبه ليعلم ما صنع بنفسه. فانه تعالي يُمهل الكافرين في عيشهم يفعلون ما يريدون الي اجلهم و لا ياخذهم اَخذا يتنبّهون. يُميتهم و يُهلكهم في اعمالهم كما يقول:

و مهّلِ الكافرين امهلهم رويدا...

و الاملاء بمعني الاِمهال في حال كونه مَلَئا غير خلاء من المال او مقاصد اخري. لا يحسّ فقرا و مرضا ليتنبّه و يخضع لدي ربه. فتارة يُمهل انسانا في فقره و مرضه ليلجاء الي ربه و لا يلجاء فهو في اِمهاله غير مَليٍ لعله يلجاء الي ربه و يخضع. و تارة يُمهله ربه و هو غنيٌ مليٌ بالمال و غيره. فهو في املاءٍ يقول: و اُملي لهم ان كيدي متين. فيتركه ربه يعيش في حياته غفلة عن مَعاده حتي يَعرضوا علي نار جهنم يعذبون فيها. يمتّع الله الكافرين في عيشهم يخوضون و يلعبون حتي يلاقوا يومهم الذي كانوا يوعدون...

فيقول: ان كيدي متين. و الكيد بمعني مكر و سياسه. تاخذ عدوك فتُهلكه في حال غفلته. فكذلك الله يمكر الكافرين و هو خير الماكرين. يمتعهم و هم فی غفلتهم ساهون.

ثم يعرّضهم توبيخا لهم يقول ما هي سبب اعراضهم عن دين الرسول هل يسئلهم رسول الله(ص) اجرا علي دعوتهم الي دين الله و تعليمهم كي لا يجهلوا؟

الایه 46- اَم تسئلهم اجرا فهم من مغرم مثقلون...

فتري الانبياء و لاسيما خاتمهم لم يسئل الناس علي دعوتهم و تعليماتهم و ساير خدماتهم اجرا فقال: ما اسئلكم عليه اجرا ان اجري الا علي الله رب العالمين... و يقول رسول الله (ص ): لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربي... و هذه الاجر اطلبها لكم لنجاتكم عن الكفر و الضلاله. و المودة هناك بمعني الملازمة اياهم و الاهتداء بهدايتهم و التعلم منهم. فمن اهتدي بهدايتهم ينجو من الهلكة في الدنيا و الآخره. فلم يسئل منهم ليتثاقلوا من مغرم هذا الاجر فيفرّون من دين الاسلام. فلم يسئل رسول الله ( ص )منهم اجرا علي رسالته، و كذالك من يحذو حَذوَهم من الائمه و العلماء. فجعل الله الدين و الدعوه بين يدي البشر و سئل منهم الاقتداء و الاطاعة لنجاتهم. ثم يقول:

الایه 47- ام عندهم الغیب فهم یکتبون.

يُوَبّخُهم الله تعالی علي ما اَحدثوا من البِدع و الخرافات من قولهم ان عيسي و امه يحتملون عنا سيئاتنا يوم القيامه يذهبان بنا الي الجنه و ان كنا عاصين او كافرین.( و ادّعائُهم فی الاطّلاع علی الغیب کادّعاء الجن فی سورة الجن اذ قالوا: و انّا کنّا نقعد مَقاعدَ للسّمع فمن یستمعَ الآنَ یجد له شهاباً رصدا...)

فيامر الله تعالی رسوله ان يصبر لاجراء حكم الله و مقاديره و لا يكون كصاحب الحوت اذ نادی ربه في بطن الحوت و هو مكظوم، يكظم غيظه لقلة صبره علي أذی قومِه.یقول:

الایه 48- فاصبر لحکم ربک و لا تکن کصاحب الحوت اذ نادی و هو مکظوم.

فينهي الله و ينآي برسوله ان يكون كصاحب الحوت يونس ابن متي، كان نبيا علي اهل نينوا بلدة من بلاد العراق. كان يدعو الناس الي ربهم يامرهم بترك الاصنام و المعاصي فكذّبوه و هزئوا به و كان يجب عليه ان يصبر علي ايذائهم و تكذيبهم الي ان يتداركوا بفهمهم و شعورهم دعوة نبيهم. فهجم عليه المصائب و لم يتحمل عنهم الاذي. فدعي عليهم و فرّ عنهم قبل ان يبلغوا حلومهم و يَدركوا دعوة نبيهم.

فالناس قبال الانبياء كالصبيان بين يدي آبائهم. يجب علي الآباء اولاً ان لا يُحملوا علي صبيانهم ما يحتمله البالغون. فان الصّبيان ضعفاء في عقولهم و ابدانهم. فلو حمّل عليهم ما حمّل علي ابناء العشرين و الثلاثين لم يقدروا ان يتحمّلوه فلا يطيعون آبائهم. فيَلزم ان يسهل عليهم الامور و يَدَعهم في خوضهم يلعبون كما يقول الله تعالی يخاطب رسوله: ذرهم في خوضهم يلعبون... و يجب علي الانبياء قبال افراد الامه ما يجب علي الآباء قبال صبيانهم. يجب علي النبي(ص) ان ينهاهم عن الاصنام و يصبر علي اَذاهم. فان كل نبي بلغ بايمانه ما يمكن له ان يتحمل امر ربه فيعبده مخلصا و يستوحش عن الاصنام و الظلم و الطغيان. هو بين الناس كمثل ابٍ عالمٍ و سائر الناس بين يدي هذا النبي كصبيان بين يدي ابيهم. لم يَدركوا العلم و الايمان فتتركو الّلعب و الاصنام. فيجب علي النبي( ص )ان يعلّمهم و يهديهم و يصبر علي اَذاهم الي ان يبلغوا حلومهم.

فكان يونس و قد ضعف صبره علي اذي قومه. فدَعي علي قومه و فرّ عنهم فاَحبسه الله تعالي في بطن الحوت. و كان هذا قصور منه و لم يكن تقصيرا اذ لم يقدر ان يتحمل عنهم الاذي. ثم كان عليه ان لا يخرج عنهم بل يكون فيهم لعلهم يتوبون حين اذ راووا العذاب.

فيامر الله تعالی رسوله محمد( ص )ان لا يكون كصاحب الحوت بل يصبر علي اذي قومه الي ان يستيقظوا عن نومة الغفله فيدركوا ما يدعوهم اليه نبيهم. فصبر رسول الله( ص )علي اَذي قومه و لم يكن ليدعو عليهم و ان كانوا اخرجوه عن مسقط راسه و مانس نفسه. يدعو لهم مكان ان يدعو عليهم و يقول: الّلهم اهدِ قومي فانهم لا يعلمون. و يقول الّلهم اجعل لعني رحمه.

فصبر( ص )علي اَذي قومه الي انقلب الا قوام و اصبحوا مسلمين بعد ان كانوا كافرين.

ثم يقول بعد ما يُخبر عن حال صاحب الحوت و انه مكظوم يكظم غيظه و يصبر علي ما دَهَمه من العذاب:

الایه 49- لو لا ان تدارکه نعمة من ربه لنبذ بالعراء و هو مذموم.

فعلم في بطن الحوت انه خالف رضا ربه اذ دَعی عليهم و تركهم في معرض نزول العذاب. و لعله كان يجب عليه ان يكون في قومه صابرا لعلهم يتوبون و يرجعون اليه بعد ما راووا العذاب و لكنّه خرج بالفرار من تقدير الله سبحانه. فاَسجَنه الله تعالي في بطن الحوت كما يقول:

و ذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادی في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين.

و هذه الحالات من الانبياء ينشأ من قصورهم لا من تقصيرهم. فيُبتلون ببلاء الدنيا لا بعذاب الآخره. فلو صبر في قومه و لم يدعُ عليهم و لم يخرج عنهم لكان اَولي عند الله سبحانه. فتنبّه يونس هذه القصور و هو في بطن الحوت فتاب الي ربه و قال: لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين.

و الدليل علي انه علم عصيان ربه رجوعُه الي ربه بعد التوبه. فنُبذ بالعراء و انبت الله تعالی.عليه شجرة من يقطين ليستظلّ بهذه الشجره الي اَن قويَ حالُه. فرجع الي قومه فرَآهم و قد نَجَوا من العذاب و حَسُن حالُهم كانه كان نبيا لهم قبل توبته. فتحوّل رسولا، يقول الله تعالی: فارسلناه الي ماة الف او يزيدون...

فنعلم بذالك انه علم بانه خالف ربه قصورا لا تقصيرا كما يقول الله تعالی: و عصي آدم ربه فغوي ثم اجتبيه ربه فهدي.

فعصي ربه بما دعا عليهم و تركهم في معرض نزول العذاب ثم امر ان يرجع اليهم و يهديهم الي ربهم فتاب الي ربه من هذا العصيان.

ثم يخبر الله تعالی بعد ذالك بانه اجتبي يونس و جعله من الصالحين.

الایه 50- ثم اجتبیه ربه و جعله من الصالحین.

فكان الاجتباء بعد توبته عن الفرار من قومه و ترك الصبر بما ينال منهم.

و ان قلنا ان هذه الابتلاء ليونس لم يكن تنبيها له اذ الانبياء معصومون و العصيان ينافي عصمتهم. فلو كان مبعوثا و مامورا من الله بان يقوم في قومه الي طاعة الله و يصبر علي اَذاهم و لا يدعُ عليهم الي حين يقظتهم و تنبّههم فقد خالف امر ربه في الدعاء عليهم و الفرار عنهم. فاصابه الله تعالي بما اصابه كفارةً لذنبه، فكان هذا عصيان منه و العصيان يخالف العصمه.

نقول في جوابك انه كان مامورا بالدعوة و النصيحه و بالصبر علي قدر طاقته. فلو صبر علي الاذي و قام فيهم لكان اَحَبّ الي الله تعالي و اَرقي لشانه. و لعل الله سبحانه يتوقع منه ان يصبر علي الاذي منهم ولكنه دَهَمه من تكذيب القوم و استهزائهم ما طاق طاقته ان يصبر علي الاذي فلم يكن الدعاء و الفرار عصيان منه لان الله تعالي لا يامر انسانا فوق طاقته. فكان الله يعلم ان لو امره بالصبر و تحملِ الاذي لا يقدر ان يتحمّل بلائا فوق طاقته. فلم يامره و توقع منه ان يصبر كما توقع من آدم ان لا ياكل من الشجره، او من نوح ان لا يسئله نجات ابنه.

ان الله تعالي قدّر ليونس هذه المصيبه ابتلائا له. انه تعالي يبتلي انبيائه كما يقول:

و ان كنّا لمبتلين... او يقول: و اذا ابتلي ابراهيم...

فابتلي يونس لعلمه بانه يتنبّه و يرجع الي ما كان قبل ذالك من دعوة القوم فينجو بهذا الابتلاء من ضعف نفسه و قصور فهمه بانه لو ترك جهاده لم يخرج بهذا الفرار عن تقدير الله تعالي حيث يقول: و ذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه... فتبه و رجع الي قومه فرآهم و قد تابوا و آمنوا بربهم. فكان يونس لمّا رآي نفسه حيّا و هو في بطن الحوت اصابه من الغم ما اصابه فنادی في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فنجيناه من الغم و كذالك ننجي المومنين.

ثم يخبر الله تعالي في آيه الآخر من هذه السوره ما يصيب رسوله من حسره الكفار وحسدهم و انهم لايحتملون ان يروا رسول الله( ص )في علمه و معجزاته و كراماته كانهم يريدون ان يُبيدونه باعينهم. فيقول:

الایه 51 و 52- و ان یکاد الذین کفروا لیزلقونک بابصارهم لما سمعوا الذکر و یقولون انه لمجنون و ما هو الا ذکر للعالمین.

يعني بذالك ان الكفار لما سمعوا آياتاً تقرء عليهم من كتاب الله يتعجبون ان يبلغ انسان ما بلغ من عظيم الشان و التقرب الي الله ان يسمع كلام الله و يسمع منه آياته. فلا يتحمّلون ان يصفونه كما هو عند الله من عظيم الزلفه و النبوه. فيقولون انه لمچنون.

فيبيّن الله تعالی في هذه الآيه علمين: ضررَ العين و اَنّهم يقولون انه لمجنون.

اما العين و الِاضرار بها مشهورة في التاريخ. و جاء في الروايات ان العين يدخل الرَجُل في القبر و الجمل في القِدر. يخبرنا في الحديث و الآيه انه يمكن ان يَضرّ انسان غيره بعينه فيقتله او يُمرضَه بعينه. و الاضرار بالعين معروف، يقال له بالفارسي( چشم زخم )

و بعض الناس و لا سيما الاطباء و الطبيعيون ينكرون الاضرار بالعين. و الاضرار بالعين بمعني ان ينظر انسان الي الاخري فيُمرضه او يُميته بنظره اليه. و في الاضرار بالعين حكايات غريبة عجيبة في تاريخ البشر و لا سيما في مسائل السحر و الساحرين. فكم من دعوات هناك اُفيض الينا في دفع السحر و الكهانه، يَكفيك هذه الآية و سورة الفلق اذ يقول: و من شرّ النفاثات في العقد...

فيقولون قرائه هذه الآيه مجرّب في دفع السحر و الكهانه. و روي ان اناس من كفره قريش كادوا ان يزلقون او يزلون رسول الله (ص)بابصارهم، يُمرضونه و يخرجونه من طريق الدعوة و الدين.

فيقولون منكري السحرِ و الكهانه او الاضرار بالعين كيف يمكن لاحد ان يضرّ غيره بالنظر اليه فيكون النظر بالعين كالسيف و السنان؟ و لكنّ الحقَ ان الاضرار بالعين ممكنٌ وقع مرارا في التاريخ. يمكن ان ينظر انسانٌ الي غيره يحسده فيضره بالنظر كما قيل ان النظرةَ سهمٌ من سَهام الشيطان. فتارة تنظر الي امرئةٍ اضرارا بها فتستوحش منك كاَنّ نظرك اليها سهم يقع علي قلبها. او تنظر حسدا و طمعا الي مال او جمال يحس صاحبه الاضرار من نظرك فيستوحش منك و يقول نظر الينا نظرة سوءً. فيمكن لاحد ان يتجاوز الي احد يضره بالعين و السمع. ثم هذه الاضرار يزيد الي حد يمرض غيره او يميته. كما رايت في الروايه: العين يدخل الرجل في القبر. ينظر رجل او امرئه الي احد و رآه موفّقا في المال و الجمال فيهجم علي الناظر همٌ و غمٌ شديد مما رآي غيره موفقا في المال و الجمال. فتهلكه الحسرة من شدة الحسد فيسوء الظن بالله تعالي اذ حقّره بما اكرم غيره. فآل الامرُ في تقدير الله الي اَمرين. اِمّا يُهلك الحاسد او يضر بشیئ ممّا انعم علي المحسود. يُمرضه او يُفقره بسلب شيئ من المال ليخرج الحاسد من شدة همّه و غمّه و شدة حسده علي المحسود. ففي حكمة الله سبحانه في هذه المورد يجب تارة ان يسلب شيئا مما انعم علي المحسود او اَن يَهلك الحاسد بشدة حسده و حسرته. فالعين مضرّة او متضرره، كما ان السحر يُضرّر المحسود او الساحرُ باذن الله.

و لذالك يامرنا الدين بكتمان ما انعم الله تعالی علينا من المال او الجمال عن غيرنا ممن يحسدنا او يضرّنا بعينه. فيقولون: استر ذهبك و ذهابك و مذهبك... لانك لو اَرَيت الناسَ ما انعم الله عليك من الذهب و الذهاب و المذهب من العلم و الحكمه يحسدك الناس و يزلقك الناظرون بابصارهم فحینئذٍ يجب علي الله ان يسلب عنك نعمة اَرَيتها الناس او انسانا حاسدا عليك، فخراً عليه او غروراً فتهيّج حسده و حسرته. فدار الامر اِمّا يَهلك الحاسد بحسده او یتضرّر المحسود بشيئ ممّا انعم الله عليه، يفرّج الحاسد من الغم الشديد.

فتارة يري الله تعالي انّ ابتلائك بسلب نعمة مما انعم الله عليك خيرٌ من هلاك الحاسد. فيامرك اولاً بكتمان النعم لئلا يحسدك الحاسدون. فان تظاهرت بالنعم و تفاخرت به يسلب الله عنك ما افاض عليك. فاُمثّل لك مثالا في حياتك. فاحسب انك ابٌ ذو بنين و بنات كمثل يعقوب( ع )تتظاهر بحبّ واحد او اثنين من بنيك و بناتك، مثل ما تظاهر يعقوب بحبّ يوسف و اخيه. يجب عليك ان تتساوي بينهم في المحبة و الانفاقات مما ترزقهم و تنظر اليهم رافة و رحمة. فان اَخرجتَهم من حدّ المساوات و نظرتَ الي واحد منهم نظرة و رافة خاصّا و البسته بلباس خاصٍ غير ما تلبّس غيرَه من اخوانه، يظهر بذالك بين اولادك التّحاسدُ و التّباغض. فيحسدون الذي اخرجتَه من حدّ التساوي بينهم. كما قالوا: اِنّ يوسف و اخوه اَحبّ اِلي اَبينا منا. فقالوا: اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضاً يَخلُ لكم وجهُ ابيكم.

فيجب لك ان تسلبَ ما آثرتَ به يوسف من بين اخوانه و تجعلهم في حد التساوي فتخلع عن قامة يوسف ما خلّعته به.

فهذا هو ضرر العين. فلذالك يقال اُستر ذَهَبَك و ذِهابَك. فالله تبارك و تعالي بمنزلة الاَب و ساير الناس بمنزلة اولاده و انه تعالي يري في تربيته اَن يُنعم علي بعض عبيده بنعمة خاصةٍ يكثر به اشتياقُه الي ربه، فيحسده من لا يكون مثله. لان صاحب العين ذو نفس ضئيلةٍ ضعيفه لا يتحمّل فضل الله تعالي لاحدٍ. و لذلك قدّر الله تعالی اجر المومن في الآخره يَفصِل بين المومن و الكافر في حياتهم، فريقٌ في الجنه و فريقٌ في السّعير...

فهؤلاء من حسدة قريش حسدوا رسول الله( ص )بما انعم الله عليه من الكمال و الادب و النبوه و عظيم الزلفه فحسدوه و كادوا ليزلقونه بابصارهم لما سمعوا الذكر. فحفظه الله تعالي من شر الحاسدين. فردّ الله عليهم قولَهم انه لمجنون، فقال بل هو علم و حكمة و ذكرٌ للعالمين، يَذكره الناسُ فيما بعد بانّه اَعقلُ الناس و اَعلَمُهم فيما يقول و يفعل. فهذا كفرة قريش قالوا انه لمجنون

ثم لابد ان نطلب اُناساً قالو انه لمفتون. و هم المنافقون من المسلمين، قالوا فُتن بابنته فاطمه و اولادها اذ قال: فاطمة سيدةِ نساء العالمين. او قال الحسن و الحسين امامان قعدا او قاما و هما سيدا شباب اهل الجنه. كان يقبلهما و يقبل يدي فاطمه سلام الله عليها و يقول ام ابيها.

فقالوا فُتن بابنته و وُلده يقول فيهم خلافَ ما كانوا فيهم. انهم مثلُ سايرِ الناس. كيف تكون صبيةً سيدة نساء العالمين، جعلها و بعلها و ابنائها في كسوة الالاهيه في حديث الكساء و قال في شأنهم ما قال: من كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه. و قال: هو النباء العظيم قسيم الجنه و النار. فقالوا مفتون فتن بابنته و ولده.

فقال الله تعالي ردّاً عليهم فستبصر و يبصرون بايهم المفتون. سيوضَح بعد ذالك في الحيات انهم فُتِنو ا بزخارف الدنيا او انت فُتِنت باولادك.

 **لله‌ اولا و آخرا و انا العبد - محمد علي صالح غفاري**

 بسم الله الرحمن الرحیم

ترجمة فارسی تفسیر عربی سورة قلم، اثر محمد علی صالح غفاری.

 فهرست مطالب:

"آیات 1 الی 4"

شأن نزول-…………………………………………………

حقیقت حرف و کلمه………………………………………………

 تفسیر و تآویل نهر در بیان ائمه اطهار (ع)…………………………………………….

 قلم و سطر………………………………………………………

لوح و قلم و کتابت خدا و انسان…………………………………………..

قسم و جواب قسم……………………………………………….

خُلق و خَلق ………………………………………………………….

"آیات 5 الی 9":

روزی که مسلمانان بصیر شوند-

علم به جزئیات کفر و ایمان مردم منحصر به خداوند متعال است-

"آیات 10 الی 16":

صفاتی که با صیغۀ مبالغه ذکر شده است-

آنچه باعث انکار رسالت پیامبران می شود-

تناسب عذابها با گناهان-

«آیات 17 الی 34»

تفسیر و تأویل داستان اصحاب باغ –

ابتلائات اهل اسلام بعد از بعثت و پس از رحلت پیامبر اکرم (ص)-

تفاوت عذاب دنیا و عذاب اکبر-

عذاب های ابتلائی و انتقامی-

وعدۀ خدا به پرهیز کاران-

«آیات 35 الی 41»

شأن استفهامات قرآن –

قضاوت مشرکان در بارۀ اجتماع نقیضین-

«آیات 42 الی 43»

 روز میقات و کشف حقایق-

ناتوانی از سجده در قیامت-

«آیات 44 الی 47»

امهال، املا و استدراج برای تکذیب کنندگان-

تعریف استدراج-

اجر پیامبران-

«آیات 48 الی 50»

نکات تازه در حکایت یونس پیامبر (ع)-

قصور و تقصیر-

«آیات 51 و52»

 حکمت چشم زخم-

آنچه حسودان قریش و منافقان حسود گفته اند-

**شأن نزول:**

سوره مبارکه ( قلم )، بنا بر نقل بعد از سوره مبارکه( علق )نازل شده و دومین سورۀ منزل بر رسول اکرم صلی الله علیه و آله می باشد. آیات آن هم بیانگر این است که از اولین سُور نازل شده می باشد زیرا در این آیات خداوند تعالی پیامبرش را در برابر کلمات آزار دهنده مشرکین که اوائل بعثت، به ایشان نسبت جنون داده یا او را مفتون نامیده و انواع آزارهای دیگر، تسلی داده و امر به صبر می کند.

**آیات 1 الی 4-**

**حقیقت حرف و کلمه:**

این سوره مبارکه مانند بعضی دیگر از سور قرآن کریم با حروف مقطعه آغاز شده است. حروف از حوادث تکوینی و تشریعی آینده در زندگی بشر خبر می دهد، زیرا حوادث هم مانند خلایق، قبل از اینکه حادث شوند حروف هستند و بعد از ایجاد، کلمه میشوند. حوادث و خلایق قبل از اینکه خداوند تعالی آنها را ایجاد یا خلق کند در علم خداوند تعالی موجودند. همانطور که کلماتی که انسان در آینده می خواهد بگوید قبل از گفتن، به صورت حروف در علم او موجود است و پس از گفتن و تکلم، به صورت کلمات و عبارات ظاهر می شود، حوادث و خلایق آینده نیز در علم خداوند حروفی هستند که خداوند تعالی بعد از ایجاد، آنها را نام گذاری می کند.

مثلا فکر کن در آینده صاحب فرزندانی پسر یا دختر خواهی شد که می خواهی برای آنها اسمی انتخاب کنی. این فرزندان در علم خداوند تعالی وجود علمی دارند و در علم پدر و مادر وجود ذهنی، که بعد از تولد اسم گذاری می شوند. اسامی آنها هم اکنون در ذهن پدر و مادر به صورت حروف است. مثلا در آینده مقدر شده که دارای فرزندی شوید و نام او را حسن بگذارید. این اسم هم اکنون در ذهن شما موجود نیست ولی حروف( ح- س- ن )موجود است. همینطور خلایق در علم خداوند تعالی اصولی از ماده و نور است که شکل خاصی ندارد و خداوند تعالی می خواهد از آنها خلایقی بسازد. وقتی بخواهد از آنچه بعد خلق می کند به کسی خبر دهد در لباس حروف به آنها اشاره می کند، چنانکه مصائب امام حسین علیه السلام را در لباس حروف به زکریای پیامبر خبر داده و می فرماید: کهیعص...[[6]](#footnote-7)

این حروف را حضرت صاحب الامر علیه السلام اینطور تفسیر کرده است: کاف، کربلا است. سرزمینی که در آنجا کرب و بلا زیاد است. ها، هلاکت حسین( ع )و اصحابش. یا، دشمن او یزید ابن معاویه. عین، عطش او و صاد، صبر ایشان[[7]](#footnote-8). این مصائب قبل از حدوث، در علم خداوند تعالی و آیات قرآن حروف است، و بعد از حدوث و وقوع کتاب و نوشته است. امام باقر علیه السلام در این رابطه می فرماید: من علم فراوانی از حروف قرآن دارم، اگر حامل این علم را بیابم[[8]](#footnote-9).

فکر کن چقدر حادثه ها و خلایق در آینده خواهد بود، همۀ آنها در علم خدای تعالی و علم ائمه( ع )به لباس حروف هستند. به این دلیل فرموده اند که حرف( ص )در سورۀ( صاد )نهری تحت عرش خدا است که بر خلایق جریان دارد.[[9]](#footnote-10)

**تفسیر و تأویل نهر:**

این نهر را در صورتی می شناسی که عرش و استوای خدا بر عرش را بشناسی. عرش در معنای تکوین، نور و ماده است که خداوند تعالی از این دو اصل هر چه را بخواهد بسازد و عرش در معنای تشریع ائمه( ع )هستندکه خداوند تعالی توسط آنها آنچه را بخواهد حاکم می کند. پس عرش مجاری علم و عمل است. تمامی نعمت های مادی و معنوی که برای اهل بهشت جریان داشته، تا ابد در آن نعمت ها زندگی می کنند به اراده خداوند تعالی جریان دارد. در این سوره هم( نون )حقایق علمی و حوادث حتمی است که خداوند تبارک و تعالی آنها را مقدر کرده و در آینده ایجاد خواهد کرد. به همین دلیل( نون )را به قلم ربط داده می فرماید: **قسم به حروف کتابت و قلم و نوشتجات**.

یعنی نون نهر علم است که خداوند تعالی حوادث را بر اساس آن مقدر می کند. مولا ابو عبدالله الحسین علیه السلام وقتی از مصائب خود در عاشورا خبر می دهد می فرماید:

نمی توان از تقدیری که به قلم خدا نوشته شده فرار کرد. رضای خدا رضای ما اهل البیت است بر بلای او صبر می کنیم و او اجر صابران را می دهد.

در تفسیر( نون )هم فرموده اند که آن نهری در بهشت است سفید تر از برف.[[10]](#footnote-11)

این نهر ها نهر علم و عمل است که خداوند تعالی بر اساس آن علم هر چه را بخواهد می سازد. نهر های بهشت نهر علم و قدرت است که بهشتیان به این وسیله هر چه را بخواهند می سازند. در سورۀ دهر خداوند تعالی آنچه را به اهل بهشت بخشیده این طور تعریف می کند. می فرماید:

نیکان و پاکان شربت های حیات بخشی می آشامند که معطر به عطر کافور است.

و بعد آن را به این صورت تعریف میکند: و آن شربت ها از چشمه ای( به نام علم و قدرت )می جوشد که به وسیلۀ آن نعمت و ثروت مانند نهر جریان پیدا می کند.[[11]](#footnote-12)

در این آیه نهری را تعریف می کند که با آن و به وسیله آن می نوشند نه نهری که از آن بنوشند. تصور کن تشنه هستی و برای رفع عطش در طلب آب هستی. اینجا ممکن است نهری ظاهر شود که از آن بنوشی و یا ممکن است خداوند به تو علم و حکمتی بدهد تا به قدرتی مجهز شوی که بتوانی شراب طهور و عسل مصفا و انواع نوشیدنی های گوارا و پاکیزه ای که دوست داری ساخته و از آن ها استفاده کنی. نهر علم و حکمت نهری است که نهرها از آن ساخته می شود، نهری نیست که از آن نوشیده شود. پس باور کن که علم و قدرتی که خدا تو را به وسیلۀ آن قادر بر ساختن و سازندگی می کند نهری است ذاتی که تحت علم و ایمان تو جریان دارد. تو خودت با چنین نهری جنات عدن هستی که نهرها از آن جاری است. پس علم و قدرت، آن نهریست که عالِم هرچه می خواهد با آن انجام می دهد. این علم قبل از این که ساخت و سازی بر اساس آن انجام شود حرفی از حروف علم است و بعد از ساخت و ساز، آن چیز ساخته شده کلمه ای از کلمات است.

 علم و قدرت خدا که هر چه را بخواهد از علم خود به وجود می آورد قبل از خلق، حروف است . هم چنین علم پیامبر و ائمه علیهم السلام نهری در ذات و وجود آنها است که به وسیله آن هر چه بخواهند انجام می دهند. اراده اولیاء خدا مثل اراده خداوند متعال است، هرگاه چیزی را اراده کنند خواستن آنها همان شدن است. مثلا عصای موسی علیه السلام را ببین که وقتی مردم از او آب طلبیدند آن را به سنگی زد و از آن سنگ دوازده چشمۀ آب جاری شد. اینجا دو چشمه جاری شده است، چشمه ای که بنی اسرائیل از آن می نوشند و چشمه دیگر اراده موسی(ع)، که موسی از آن استفاده می کند. همینطور اراده سایر انبیاء و اولیاء الاهی، که با آن اراده هر چه بخواهند انجام می دهند.

حروف مقطعه در آیات قرآن اشاره به آن چیزیست که در علم خداوند تعالی و علم رسول خدا و ائمه معصوم علیهم السلام ثبت است. علم و حکمت و برهان و نوری که گفته ها و حکم و فرمان آنها بر اساس آن علوم جاری می شود. آنچه می دانند و نگفته اند حروف است و آنچه گفته اند و اجرا کرده اند کلمات است.

**قلم و سطر:**

پس از حرف نون، خداوند تعالی به قلم و آنچه می نویسند قسم میخورد. قلم و نوشته همراه و ملازم یکدیگر هستند. سابقا در تفسیر سوره( علق )کیفیت قلم خداوند متعال و قلم انسان را بیان کردیم. گفتیم که قلم خداوند تعالی علم و حکمتی است که آن را در لوح وجود انسان می نویسد و ثبت می کند، کما این که می فرماید: قسم به نفس انسانی و کسی که آن را مهندسی نموده فجور و تقوا را به او آموخته است.[[12]](#footnote-13)

قلم خدا تأثر ازخطوط است نه اثر خطوط. آنچه با قلم نوشته می شود اثر است و آنچه از نوشته ها می دانیم تأثر است. اما قلم انسان بر روی کاغذ اثر ایجاد می کند ولی تأثر ایجاد نمی شود. لوح وجود انسان به وسیلۀ قلم و بیان تأثر پیدا می کند. وقتی کلمه ای به گوش شما می خورد دو چیز ایجاد می شود: اثر و تأثر. برخورد صدا به گوش اثر ایجاد می کند که از بین می رود ولی تأثر، همان است که از آن صدا فهمیده ایم. این فهم که تأثر است از وجود شما بیرون نمی رود ولی اثر صدا از بین می رود. خداوند تعالی با قلم می آموزد و قلم خدا ایجاد اثر است که انسان را متأثر می کند و قلم انسان اسباب و ابزار های مختلفی است بر کاغذ اثر می گذارد و یا گفته هائی است که بر گوش اثر می گذارد.

**لوح، قلم و کتابت خدا و انسان:**

اگر بگوئید خدایتعالی هم اسماء را در وجود انسان می نویسد می گوئیم کتابت علم در وجود انسان بمعنی تأثر نفس انسان توسط کتابت یا بیان و اشاره و امثال آن می باشد و به این معنا نیست که کلمات یا حروفی در وجود انسان نوشته شود و انسان آنها را بداند. مثلا خدا انواع نوشیدنی ها و خوراکیهائی را که ما استفاده می کنیم به ما می آموزد و ما آنها را می دانیم. این دانائی ها همان تأثر لوح نفس در اثر غذاها و شربت ها است نه این که اثری مثل اثر خط بر کاغذ در نفس ایجاد شود، و هم چنین اسامی اشخاص و اشیاء مثل حسن، حسین، کوه و دریا... همه جا علم به معنی ایجاد تأثر است نه خلق یک اثر. تأثرات از آثار در لوح وجود ما پیدا خداوند متعال ما را به تمامی آنچه در این عالم بزرگ آفریده مبتلا کرده، این برخورد ها در وجود ما اثر گذاشته و نفس از آنها متأثر می شود. وجود انسان لوح است و آنچه خداوند در این وجود خلق می کند و به آن مبتلا می کند کتابت است و تأثری که در نفس انسان ایجاد می شود، علم است. خداوند تعالی حروف وکلمات و یا اسامی افراد و اشخاص را در وجود ما خلق نمی کند بلکه نفس را به نوری مجهز می کند که معنی کلمات را درک می کنیم و این علم است.

پس از کلمه( قلم )، خداوند تعالی از سطوری که با قلم نوشته می شود یاد می کند و در سوره( علق )از علومی نام می برد که با قلم آموخته می شود.[[13]](#footnote-14) قلم در این سوره قلمی است که سطور را می نویسد و در سوره علق، قلمی است که علوم را به انسان می آموزد، و سطوری که بر کاغذ نوشته می شود غیر از علومی است که با قلم آموخته می شود. قلمی که در سورۀ علق گفته شده قلم خداوند تعالی است که علوم را در نفس انسان خلق کرده و عقول و الباب را به آن علم مجهز می کند. قلم انسان به دنبال قلم خداوند متعال حرکت می کند. اگر قلم خدا بر وجود انسان کشیده نشود که علم را ایجاد کند قلم در دست انسان حرکت نمی کند که علوم را بنویسد.

**قسم و جواب قسم:**

این آیه شریفه قسم خداوند به قلم و کتابت است و هر قسمی جوابی می خواهد. جواب این قسم، قول خداوند تعالی است که می فرماید: تو به لطف خدا در قضاوت علم و قلم دیوانه نیستی. و تو در آینده اجر و مزدی بدون منت خواهی داشت. اخلاق انسانی تو عظیم و بی نهایت است.

خداوند تعالی با این آیات گفتۀ کسانی را که به پیامبر (ص) مجنون یا مفتون می گویند رد کرده، می فرماید: بلکه تو دارای خُلقی عظیم هستی.

کلمه( مجنون )از ریشه( جنّ، یجنّ )به معنی سر زدن اعمال و گفتاری غیر عادی از شخصی است که رفتار و گفتارش یا بالاتر از حد معمول مردم و یا پایین تر از آن است. افراد مجنون رفتارشان پایین تر از سطح رفتار مردم عادی است بطوری که مثلا یک پیر مرد رفتاری مثل یک کودک دارد و یا کودکی مثل پیران رفتار می کند. جنون به معنی خروج انسان از حد اعتدال با یک عامل داخلی است. پیامبران علیهم السلام از آنجا که در وضع وجودی و استعدادی خود بالاتر از مردم عادی هستند و آنچه می گویند و از آنچه خبر می دهند غیر از مسائل متداول بین مردم است و بر اساس وحی که یک عامل غیبی وجودی است مطالب خود را بیان می کنند، مردم جاهل آنها را مجنون می پندارند. در حالی که کسی که به جنون مبتلا باشد نمی داند چه می کند و چه می گوید، گاهی کتک می زند و پرخاش می کند و جاهل و عاقل می دانند که او مجنون است. ولیکن رفتار و گفتار پیامبران (ع) فوق رفتار و گفتار مردم عاقل زمان است. عاقلان آنها را داناترین و عاقل ترین مردم، و جاهلان آنها را مجنون می دانند. پیامبران رفتار و گفتاری معمولی و عرفی داشته، مثل سایر مردم می خورند و می پوشند و راه و روش آنها متعارف و معتدل است ولیکن از افراد و اشخاصی خبر می دهند که اکثر مردم از آن بی خبر هستند. از خدا و ملائکه و آخرت و حقایقی نامأنوس سخن می گویند، مردم جاهل هم به آنها مجنون می گویند.. خداوند تعالی در رد چنین گفتاری می فرماید که پیامبر (ص) به نعمت الاهی مجنون نیست بلکه خدای تعالی نعمت عظیمی از علم و حکمت و آگاهی و تدبیر و سیاست به او عنایت کرده و او بر این اساس چنین سخنانی می گوید نه اینکه مجنون و خارج از حد اعتدال باشد. سپس می فرماید: تو در آینده اجر و مزدی بدون منت خواهی داشت. اخلاق انسانی تو عظیم و بی نهایت است...

**تعریف خَلق و خُلق**:

 کلمه( خُلُق )جمع خُلق، ظهور افعال و گفتار مطابق خلقت است. خُلق بر وزن قفل نمایشی از خلاصۀ افعال و صفات انسان است. مثل اُکله و لقمه، که خلاصه شدۀ غذا و آماده برای خوردن است. خُلق هم خلاصه و نمایش اعمال مطابق خلقت است. مثلا سلام گفتن به مردم هنگام رو یاروئی با آنها نشان دهندۀ خُلقی ناشی از خلقت است. یا چهرۀ بشاش و کارهای نیک خلقی از اخلاق فطری انسان است. گفتار و کرداری که باعث جلب نظر مردم شده و دوستی و محبت آنها را کسب کند ظهور خُلقی از خلقت انسان است.

انسانها همه بر اساس یک روش و یک فطرت آفریده شده اند و تمایزی در خلقت آنها نیست. همگی آنها از یک نوع و یک جنس هستند. این خلقت و فطرت واحده ایجاب میکند جاذب و مجذوب و محبوب یکدیگر باشند و در برخورد ها و ملاقات ها با رفتار و اعمال مفید خود یکدیگر را جذب کنند. این خصوصیت نمایش خُلقی از خلقت طبیعی انسان است و کسی که بر خلاف این حالت، خشک و بی تفاوت باشد مثل حیوان یا جماد، که اگر ضرری نزند سودی هم برای کسی ندارد، بر خلاف فطرت و خلقت خود رفتار می کند. بد تر از این افراد، منافقان و مشرکان هستند کسانی هستند که در جامعۀ انسانی با بدترین اعمال و رفتار برای مردم مزاحمت ایجاد می کنند. خلق عظیم رسول خدا صلوات الله و سلامه علیه و آله طوری بود که با هر کس، حتی با دشمن خود مواجه می شد با محبت با او برخورد کرده و سعی می کرد به او خیر برساند اینست که خداوند تعالی خُلق او را با کلمۀ عظیم می ستاید

**آیات 5 الی 9:**

**روزی که مسلمانان بصیر شوند**:

بعد از وصف خلق پیامبر( ص)در آیات( 5-6 )می فرماید: به زودی تو می دانی و آنها هم خواهند دانست که کدام یک از شما فریفتۀ مال و مقام هستید.

در این آیات از قول افرادی حکایت می کند که می گفتند پیامبر(ص)مفتون پسر عمش علی و دخترش فاطمه و اهل بیت خود می باشد.

قریش رسول خدا را به خاطر ادعای نبوت مجنون خواندند و مسلمانان هم روزی که محبت آن حضرت را به اهل بیت خود علی و فاطمه و حسن و حسین( علیهم السلام ) مشاهده کردند و دیدند که در قضیه مباهله و داستان کساء چگونه آن بزرگواران را در حد خود قرار داد گفتند که پیامبر مفتون خانوادۀ خود است که این طور شدیدا آنها را دوست دارد و علی(ع)را برادر خود و به منزلۀ جان خود میداند. خداوند تعالی با نزول این آیه خبر داد که بزودی حقیقت معلوم شده و جهل و نفاق کسانی که تو را مفتون می خوانند آشکار می شود و تمام انسان ها تو را که قیام کردی تا مردم را از کفر و شرک و کینه های جاهلیت نجات داده به حق دعوت کنی عاقل ترین افراد بشر خواهند شناخت. گفته های تو را در باره علی و اهل بیت خود تصدیق کرده و می فهمند که تو آنها را به شایستگی های واقعی که داشته اند معرفی نمودی تا مردم به آنها اقتدا کرده و از گرفتاری های دنیا و آخرت خود نجات یابند. وقتی حکمت و بصیرت و شجاعت و رحمت و رأفت علی و اهل بیت(ع) را نسبت به مومنین ببینند تصدیق خواهند کرد که علی همان طور که تو گفته بودی امیر مومنان و یعسوب دین( زنبور عسل )و پیشوای اسبان پیشانی سفید پیشرو( قائد الغرّ المحجّلین )است. آنگاه می فهمند که تو مفتون و مجنون نبوده ای بلکه نعمت ولایت را به آنان تذکر دادی تا امام و مولای خود را بشناسند و نیز کسانی را که فریفتۀ زر و زیور دنیا و ریاست نا مشروع بر مردم بودند بشناسند که چگونه دنیا آنها را کر و کور کرد، با علی (ع) دشمنی کردند و حق او را انکار و سپس غصب کردند و دنیا با جلوه های فریبندۀ خود آنها را هلاک کرد.

**علم به جزئیات کفر و ایمان مردم منحصر به خداوند تعالی است**:

پس از اینکه خداوند تعالی به پیامبر خود از آنچه این دو صنف از مردم در باره ایشان می گویند خبر می دهد، از علم خود به احوال آنها و انحصار این علم به خودش خبر می دهد. افرادی که آن حضرت را مجنون می خواندند کافران و مشرکانی بودند که آشکارا ایشان را مورد آزار و اذیت قرار داده و با کفر صریح خود با ایمان پیامبر و مومنین جنگیده، می کشتند یا کشته می شدند. ولیکن کسانی که آن حضرت را مفتون خوانده و می گفتند دلباختۀ اهل بیت خود است گرچه تظاهر به گناه و دشمنی با پیامبر نکرده و خود را مومن نشان می دادند ولی باطنا معاند بوده و فقط برای حفظ جانشان اسلام آورده بودند؛ ایمان قلبی نداشتند. تنها کسی که وضعیت واقعی منافق را می شناسد خداوند متعال است. انسانها از نیت کسی با خبر نبوده و نمیتوانند احاطه به باطن اشخاص داشته باشند. قلب انسان را کسی می شناسد که آن را خلق کرده و احاطه علمی به اسرار دارد. او هدایت یافتگان را می شناسد و می فرماید: خدا گمراهان از خط ولایت و هدایت یافتگان را بهتر می شناسد.(آیۀ 7)

این آیه مردم را در قبال دعوت به اسلام به سه دسته تقسیم می کند. عده ای که راه حق را ترک کرده کافر شده و گمراه شده اند. آنها منافق هستند زیرا بعد از این که به هدایت پیامبر راه روشن حق را شناخته و به راه آمدند آن را ترک نموده، از راه گمراه شده اند نه این که در راه به اشتباه افتاده و یا بیرون از راه باشند. و گاهی کسی که بیراهه می رود به راه دعوت شده ولی دعوت را نمی پذیرد. او بیرون از راه است.( ضلّ الی سبیل الله) یعنی به راه فرا خوانده شده ولی کفر خود را ترجیح داده است.

کسی به راه کشیده شده و در جاده به پیش می رود، اما راه را ترک می کند. ( ضلّ عن السبیل )است یعنی بعد از شناختن راه، از راه منحرف می شود. جایگاه(عن) در آیه این نکته را مشخص می کند که می فرماید: بمن ضلّ عن سبیله... این افراد از راه منصرف شده اند، بعد از این که در راه بوده اند.

و اما یک وقت انسان به راه خدا دعوت شده، دعوت را می پذیرد و راه او را به مقصد می کشاند. یعنی راه را از دست نداده و آن را تا رسیدن به مقصد که لقاء پروردگار است می پیماید. او مومن است.

اینجا در برابر دعوت پیامبر خدا مردم سه دسته می شوند: مومن و کافر و منافق. و خدایتعالی می فرماید فقط او به حال کسانی که از راه خارج شده و یا هدایت شده اند آگاه است.

کلمه( مهتدی )از باب افتعال، دلالت به کسی می کند که هدایت را از خدا گرفته، معرفت قلبی دارد و غیر مهتدی کسی است که در محیط ایمانی داخل شده ولی روح ایمان در قلبش نفوذ نکرده، پس مومن نیست، اگرچه مسلمان است. او مستضعف است، که چنین افرادی طبق گفتۀ قرآن شاید مورد عفو قرار گیرند[[14]](#footnote-15).

و اما افرادی که بعد از درک هدایت و دعوت به دین خدا از راه منحرف می شوند کافر هستند، کافران هم در حالات مختلف کفر و نفاق قرار می گیرند. کافرانی که با اهل ایمان آشکارا مبارزه کرده و متظاهر به کفر هستند،کافر حربی بوده، مسلمانان واجب است با آنها بجنگند تا کفر و دشمنی از میان بر داشته شود. و کافری که به مسلمانان کاری نداشته و با آنها مبارزه نمی کند کافر غیر حربی است و تا زنده است کسی به او کاری ندارد. و اما کسانی که با تظاهر به مسلمانی با مسلمانان مبارزه می کنند، نماز و زکات خود را وسیله ای برای نفی نماز و زکات قرار داده اند آنها ذاتا و قلبا منافق و شیطان هستند که خداوند در باره آنها می فرماید: منافقان در پست ترین درک جهنم هستند.[[15]](#footnote-16)

این منافقان، مکذبانی هستند که خداوند تعالی به رسول خود( صلی الله علیه و اله )امر می کند از آنها اطاعت نکند. در آیۀ (8) می فرماید: از کسانی که رسالت و ولایت را تکذیب می کنند اطاعت نکن.

و در ادامه می فرماید آنها دوست دارند تو در دین خدا مداهنه و سستی کرده تا آنها هم فرصت مداهنه پیدا کنند تو باید در دین خود جدیت داشته باشی، اگر آنها با تو همراه شدند که شدند، و اگر مخالفت کردند به جهنم واصل می شوند. سپس می فرماید:

از کسانی که نام خدا را خوار نموده و بسیار قسم می خورند پیروی نکن. آنها مسخره کننده هستند و برای نمامی و سخن چینی فعال هستند. مانع کارهای خیر و تجاوز گر و گنه کار. بی شرم و حیا و با همه اینها زنا زاده و متکبر، که دارای مال و اولاد هستند.

**آیات 10 الی 16-**

**صفاتی که با صیغۀ مبالغه ذکر شده است:**

در این آیات خداوند تعالی صفات کفر را با صیغه مبالغه ذکر می کند. حلّاف از کلمه حلف، همّاز از همز، مشّاء از مشی و نمّام از نمیمه. زیرا همانطور که ایمان درجاتی دارد و مومن با پیمودن آن درجات به حد کمال میرسد، کفر هم درکاتی دارد که کافر وقتی به حق پشت می کند، تا پست ترین درکۀ آن سقوط کرده، به موجودی ضد بشری و ضد انسانی تبدیل می شود که نسل آدمی و طبیعت را نابود می کند. [[16]](#footnote-17)به هر کاری دست زده تا فضائل انسانی را از بین ببرد. چنان به دروغ به خدا قسم می خورد که گویا ذره ای عظمت خدا را در نظر ندارد و با قسم های دروغین خود خدا را کوچک شمرده عظمت خدا را انکار می کند. کسی که به دروغ قسم به خدا می خورد در واقع به خدا اعتنا نداشته و خدا را ناچیز می پندارد، پس با جرأت و جسارت به کفر و عصیان خود ادامه می دهد. او( حلاف مهین، و همّاز و مشّاء بنمیم )است. بندگان خدا را تحقیر کرده، کسی را آدم حساب نمی کند تا مستحق نعمت های خدا باشند. پس با تمام کفر و عصیان خود بر آنها تحکم نموده و سعی می کند مردم را زیر سلطه قرار دهد.

سپس می فرماید او برای سخن چینی به شدت فعالیت می کند. نمیمه یعنی عیب جویی کردن و انتقال عیوب کسی به دیگری و خبر کشی، به این منظور که با این خبر کشی و عیب جویی آنها را اذیت کرده و رشتۀ محبت و دوستی بین آنها را قطع کند؛ چنان بذر دشمنی در دل آنها بکارد که دوستی قدیمی خود را فراموش کرده دشمن یکدیگر شوند. و در نهایت این کینه توزی ها منجر به قتل و نابودی زندگی آنها شود. سخن چین زندگی خود را بر مرگ انسان ها، بقای خود را بر فنای آنها و قدرت خود را بر ضعف و بیچارگی مردم بنا نهاده است. وقتی خود را آبرومند می بیند که دیگری را بی آبرو کند و موفقیت خود را در زندگی متوقف بر شکست مردم می داند. هر چقدر مومن به دیگران کمک کرده، زندگی و بقاء خود را وابسته به زندگی دیگران می داند، او برعکس، حیات مردم را مزاحم حیات خود میداند. زندگی کافر بر اساس تنازع بقا و زندگی مومن بر اساس تعاون بقا می گذرد، کما این که خداوند تعالی می فرماید:[[17]](#footnote-18) در تقوا و نیکوکاری کمک هم باشید و در تجاوز و گناه کمک یکدیگر نباشید... اما از آن جا که کافر حیات خود را در نابودی ضعفا می بیند با فتنه گری و سخن چینی بین مردم اختلاف افکنی کرده تا آتش جنگ را روشن کند. خداوند تعالی او را به صفت بی شرم و حیا( عُتُل )و بی اصل و نسب( زنیم )معرفی می کند زیرا متکی به مال و فرزندان خود می باشد.

زنیم، به حدی از کفر و بی حیائی رسیده است که انسانیت خود را فراموش کرده، دیگران را هم انسان نمی داند تا حق حیات برایشان قائل باشد. چنین کفری او را به پست ترین درکات جهنم تنزل داده است.

**آنچه باعث انکار رسالت پیامبران می شود:**

خداوند تعالی کفر و سخن چینی این کافر را به علت داشتن مال و اولاد می داند. از آنجا که او به جای اعتماد به خدا به مال و اولاد خود متکی است چنین متکبرانه کفر می ورزد. فکر می کند کمال و قدرت انسان و انسانیت فقط دارا بودن مال و اولاد است و او فقط حق حاکمیت و سلطه بر دیگران دارد و کسی که فاقد مال و اولاد است انسان نیست، بلکه برای خدمت و بار کشی خلق شده است. این مال و ثروت او را از نعمت عقل و درک حقوق دیگران و معرفت به خدا محروم کرده، سد راه او در برابر حق شده است. فکر نمی کند غیر از این مال و قدرت حقیقت دیگری باشد. پس تا وقتی متکی به مال و منال دنیا باشد نمی خواهد یا نمی تواند تعقل کند. به بندگان خدا تحکم می کند و عقل و فهم او چنان افول می کند که هر آیتی از آیات خدا را بشنود می گوید این حرف ها افسانه ای مثل افسانه های گذشته است. خداوند تعالی می فرماید:

وقتی آیات ما را می شنود گردن می چرخاند که: افسانه های قدیم است.

از آنجا که می بیند قبلا هم پیامبرانی امت خود را از عذاب خدا ترسانده اند، می گوید پس چرا کافران که با بندگان مومن خدا دشمنی کردند عذابی ندیدند، مردند و کسی از آنها انتقام نگرفت. این شخص کفر و کافر و ظلم و ظالم را می شناسد ولی انتقام الاهی را از کافران نمی بیند. نمی داند که عذاب کفار در زندگی آخرت خواهد بود نه در دنیا، و کسی که در بارۀ خدا تعقل نکند در بارۀ آخرت هم تعقل نمی کند و عقل و علمی که ایمان به خداوند متعال را درک کند ندارد. چنان چه قرآن می فرماید: به قلب خود نمی خواهند بفهمند و با چشم خود نمی خواهند ببینند و با گوش خود نمی خواهند بشنوند. آنها مانند حیوانات هستند بلکه گمراه تر...[[18]](#footnote-19)سپس در تهدید این کافر معاند می فرماید:

آیۀ 16- به زودی دماغ پر تکبر او را تبدیل به خرطوم فیل می کنیم تا شناخته شود.

**تناسب عذاب ها با گناهان:**

او را به سبب تکبر و نخوتی که دارد، به تمسخر تشبیه به فیل می کند که خرطوم طویلی دارد، حیوانی مسوخ و خبیث که به زودی با خرطوم خود شناخته می شود. با این تشبیه ثابت می کند که دماغ مسخ شدگان بسیار بزرگ است و درک و فهم دِماغی آنها بسیار اندک. زیرا ارزش این عضو بدن به خاطر این است که ابزار تعقل است نه به خاطر بزرگی یا کوچکی حجم. دماغ انسان از نظر حجم کوچکتراز دماغ فیل، ولی از نظر درک و تعقل میلیون ها بار بزرگ تر از آن است، شاید درک دماغی مورچه هم از فیل بیشتر باشد. ارزش دِماغ به کمیت نیست بلکه به کیفیت تعقل و تأمل است. این کافر کیفیت دِماغ خود را ضایع کرده، آن را از تعقل باز داشته، معجزه ای مانند قرآن را سحر و باطل می داند. می گوید: سحری است انتخاب شده، گفتۀ بشر است.[[19]](#footnote-20)

**آیات 17 الی 34-**

**تفسیر و تأویل داستان اصحاب باغ:**

در این آیات خداوند تعالی برای مسلمانان و اهل ایمان داستان صاحبان باغی در یمن را ذکر میکند. این داستان ظاهرا باغ پر ثمری را تعریف می کند که تا وقتی صاحبان آن شکر نعمتهای خدا را به جا آورده و حق نعمت را هنگام برداشت محصول ادا می کردند پر سود و ثمر بود اما وقتی به خداوند تعالی کافر شده، حق فقرا را نادیده گرفتند از ثمرات باغ محروم شدند. اما در واقع خداوند تعالی این باغ را برای مسلمانان مثل زده تا باغ و درختانی را تعریف کند که ثمرات علم و حکمت به بار می آورد. مسلمانان تا وقتی شاکر این نعمت عظیم بوده و حق آن را در ابلاغ این ثمرات علمی ادا کنند، رشد یافته و تزکیه می شوند به درجات عالی علم و حکمت دست پیدا می کنند. اما آنها به این نعمت عظیم و ارزشمند کافر شده، دیگران را هم از دسترسی به آن محروم کرده، بشریت را در برهوت نادانی و گمراهی رها کردند، کما این که خداوند تعالی می فرماید: ببین چه آدم هائی هستند که نعمت ایمان را به کفر تبدیل می کنند و قوم خود را به وادی عذاب و هلاکت می کشانند.[[20]](#footnote-21)

**ابتلائات مسلمانان بعد از بعثت و رحلت پیامبر(ص):**

می فرماید ما کافران قریش را که در حرم امن الاهی از هر نعمتی بهره مند بوده و ثمرات شهرهای دیگر به سوی آنان روان بود با این نعمت بزرگ آزمودیم.[[21]](#footnote-22)مردم از همه جا برای زیارت بیت الله الحرام به آنجا می آمدند و به سبب تعظیم حرم الاهی به اهل آنجا هم احترام گذاشته، به برکت بیت و اهل بیت کمک و همکار آنها بودند. امنیت آنجا همیشه برقرار، و هر گاه کافر و ستمکاری قصد تعرض به آنها می کرد خداوند تعالی آنها را قلع و قمع کرده، از اهل حرم دفاع می نمود. نمونۀ آن نابودی اصحاب فیل با فرستادن مرغان ابابیل بر سر آنها بود.[[22]](#footnote-23)

اعراب، و بخصوص قریشیان اهل حرم بعد از ظهور پیامبر خدا (ص) بایستی موجبات بهره مندی زائران بیت الله الحرام از ثمرات علم و حکمت آن حضرت و بعد از ایشان، ائمۀ اطهار علیهم صلوات الله را فراهم کرده، مانع آنها نشوند. زیرا آن بزرگواران با علم و حکمت خود ثمرات درخت حرم هستند که زائران حرم الاهی برای استفاده از این ثمرات به آنجا می روند. اما کافران قریش با تکذیب رسول خدا (ص) و اخراج ایشان از حرم، اهل حرم را از برکات و ثمرات وجود او محروم کردند تا این که آن حضرت مجبور به مهاجرت به مدینه شد.

در این آیات خداوند تعالی می فرماید: ما امت تو را مانند باغ دارانی که داستان آنها را می گوئیم آزمایش می کنیم. آنها قسم خوردند که فردا میوه باغ پدر خود را می چینیم. به خود گرائیدند و ان شاء الله نگفتند. شب هنگام که به خواب رفته بودند باغ آنها در محاصرۀ نابودی واقع شد. و چنان شد که گوئی میوه ای نداشت. فردا صبح آماده شدند میوۀ باغ را بچینند. یکدیگر را صدا زدند و بسوی باغ رفتند. مخفیانه و بدون سر و صدا رفتند. که مبادا فقرا مطلع شوند و میوه ای مطالبه کنند. شتابزده حرکت کردند با اطمینان، که میوه ها را می چینند. بناگاه با باغ سوخته روبرو شدند، گفتند شاید اشتباهی آمده ایم!؟ نه اشتباهی نیامدئیم بلکه بلکه محروم شدئیم.

بنا بر نقل، بزرگ مردی در یمن صاحب باغی بزرگ دارای میوه ها و محصولات گوناگون زندگی می کرد. او همیشه هنگام برداشت محصول قبل از استفادۀ شخصی طبق دستور خدای تعالی حق فقرا و ضعفا را می پرداخت، همان طور که خداوند تعالی میفرماید: هنگام چیدن محصول حق نیازمندان را بدهید.[[23]](#footnote-24) وقتی این مرد بزرگ از دنیا رفت و میراث او به فرزندانش رسید، بعد از نماز عصر به سراغ باغ خود رفته، با دیدن ثمرات فراوان باغ چنان فریفته شدند که تصمیم گرفتند چیزی از آن ثمرات به فقرا و ضعفا ندهند. غرور و سرکشی آنها را فرا گرفت و گفتند پدر ما پیرمردی نادان و خرف بود، عقل خود را از دست داده بود. بیائید با یکدیگر عهد کنیم که چیزی به فقرا ندهیم تا بر ثروت ما افزوده شود. چهار نفر با این نظر موافقت کرده ولی پنجمی که عاقل تر از بقیه بود مخالفت کرد. خداوند تعالی از قول او می فرماید: مگر به شما نگفتم چرا تسبیح نگفتید، شکر خدا را به جا نیاوردید(حق فقرا را نادیده گرفتید)!؟ این برادر که کوچک تر ولی عاقل تر از همه بود به برادران خود اعتراض کرد که چرا در اداء حق فقرا با دستور خدا مخالفت کردید.

این داستان مثل همه داستان های قرآن ظاهر و باطنی داشته، در باطن آن هم باطنی، تا هفت بطن، که هر یک از این معانی به انواع نعمت های خداوند تعالی برای بندگان خود اشاره می کند. همه جا عده ای بندگان خدا را از حق خود محروم کرده و افراد عاقل تر آنها را به تسبیح خدا و توکل به او دعوت کرده تا اموال مردم متبرک به برکات الاهی شود. در ادامۀ گفتگوی برادر عاقل تر با برادران، آنها بعد از احساس ضرر گفتند:

سبحان الله که ما ظالم بودیم. رو در رو یکدیگر را ملامت می کردند. اعتراف کردند که متجاوز و طغیانگر بودیم. شاید لطف خدا دومرتبه ما را فرا گیرد که ما بسوی خدا گرایش نمودیم.

برادران از آن حالت سرکشی برگشته به پروردگار خود رو نموده و به گناهان خود اعتراف کردند. خداوند تعالی این آزمون را در حالی برای آنها مقدر کرد که می دانست آنها در اثر این ابتلاء توبه می کنند. زیرا خداوند متعال مومنان گنهکار را مبتلا به عذابی می کند که موجبات توبه آنها را فراهم کند.

در آخرین آیۀ این قصه(آیۀ34) می فرماید: عذاب دنیا چنین است اگر کیفیت آن را بدانند. با ذکر این نکته به ما تذکر می دهد که خداوند رحمان نابودی ثمرات باغ را عذاب دنیای آنها قرار داد تا موجب توبه آنها شده به عذاب آخرت گرفتار نشوند.

**تعریف عذاب دنیا و عذاب اکبر:**

اسلام مثل چنین باغی پر از نعمت های بیشمار از علم و حکمت و تمدن و ریاست و سیادت است. عده ای از مسلمانان که خیلی باعجله خواستند از این ثمرات بهره برداری کنند، فقرا و مومنان مستحق و نیازمند به اسلام را محروم کرده و با منع آنها از دسترسی به این منابع علم و حکمت و حائل شدن بین مردم و ائمۀ معصوم علیهم السلام حق مومنین را ضایع کردند. خداوند تعالی با ذکر این قصه برای قریش، حال آنها را که در حرم امن خدا از نعمتهای الاهی بهره مند هستند به اصحاب این باغ مثل می زند و می فرماید ما آنها( اهل حرم )را مثل صاحبان باغ آزمودیم.

حرم الاهی در مکه تحت اختیار قریش و اعرابی بود که اطراف آنها زندگی کرده، از آنچه خداوند تعالی با جذب زائران بیت الله که با جان و دل به آنجا کشیده می شدند در اختیار آنها می گذاشت بهره مند می شدند. انواع خوراک و پوشاک و کالا که با خود به مکه آورده و به خاطر حرمت کعبه به اهل آن احترام می گذاشتند. قریش به برکت حرم با استقلال و آقائی زندگی کرده، هیبت و شوکت زیادی نزد مردم داشتند. هیچ ستمگری قصد سوئی بر علیه آنها نمی کرد مگر این که خدا او را ذلیل کرده، شر او را از سر آنها کم می نمود، مثل آنچه با لشکر ابرهه و پادشاهان تُبّّع کرد، کید آنها را به خودشان برگرداند. به این ترتیب اهل حرم در امن و امان به سر برده، در حالی که سایر بلاد تحت سلطۀ پادشاهان و جباران قرار داشتند.[[24]](#footnote-25)

در تاریخ زندگی بشر دیده نشده که ملک و مملکت و شهر و دیاری بین دولت های جبار دست به دست نشده، زیر سلطه و ذلت آنها قرار نگرفته باشند. هر کدام مثل گوی در میدان بازی، زیر پای این و آن قرار گرفته گاهی به سمت آن و گاهی به سمت دیگری کشیده می شدند دولت و ملتی عزیز نبود مگر این که به دست قدرت دیگری ذلیل می شد. در این اوضاع، تنها سرزمین امنی که وجود داشت حرم خدا بود که اهل حرم که در اطراف آن زندگی می کردند. خداوند تعالی بر اساس وعدۀ اجابت دعای ابراهیم و اسماعیل که هنگام بالابردن دیوارهای کعبه از خدا خواهش کردند: پروردگارا این خانه را امن و امان کن و به کسانی که اهل حرم هستند، ایمان به خدا و آخرت دارند روزی برسان، و خواهش کرد که پروردگارا در میان این امت پیغمبری از خودشان برانگیز تا آیات تو را بر آنها تلاوت کند، آنجا را سرزمین امن و امان قرار داد و روزی های فراوان برای آنها مقدر کرد.[[25]](#footnote-26) مخصوصا برترین ثمره از شجرۀ پاک حرم، پیامبری مثل محمد صلوات الله علیه و آله و سلم، که او را در آنجا مبعوث کرد تا آیات خدا را برای آنها تلاوت کند. وظیفه اهل مکه این بود که راه ها را بر مسافران حرم توسعه داده، و بگذارند طواف کنندگان و عاکفان شجرۀ طیبه ای را که از دل حرم روییده بود تعظیم و تکریم کنند، برای مردم امکاناتی فراهم کنند تا بتوانند از سایه گوارای وجود آنها و از پرتو نور علم آنها بهره مند گشته، از ثمرات و برکات آنان استفاده کنند. اما آنها درست مانند صاحبان باغ قسم یاد کردند که ثمرات حرم را فقط برای خود بچینند. با پشتیبانی یکدیگر اهل حرم را از اخراج کرده، خدا را شکر نکردند و ثنا نگفتند. وضع آنها طوری شد که گویا پیامبری در میان آنها مبعوث نشده و کتابی بر آنان نازل نشده است.

مسلمانان هم که بعد از بعثت پیامبر (ص) زیر سایۀ درخت اسلام قرار گرفتند همینطور مانع دسترسی مردم به ثمرات بیت الله و علم و حکمت اهل بیت شدند.

در آخرین آیه ای که مربوط به این داستان است خداوند تعالی می فرماید: عذاب دنیا چنین است ولیکن عذاب آخرت بزرگ تر است اگر کیفیت آن را بدانند.

در این آیه دو عذاب را ذکر می کند. عذابی به معنای سلب نعمت ها و محرومیت انسان از آنچه خدا برای او آفریده، آنها را دوست دارد و برایش گوارا است، مثل سلب نعمت از صاحبان باغ و محرومیت از ثمرات و ارزاق خدا و یا سلب نعمت نبوت از قریش و محروم شدن آنها از ثمرات علم و حکمت آن و سلب نعمت ولایت از مسلمانان که برترین نعمت است، و محروم شدن از علم و ایمان و تقوا، و هم چنین سلب نعمت های گوناگون از مردم و ابتلائاتی که خداوند تعالی برای بشر مقدر می کند.

عذاب بزرگتر، که پناه بریم به خدا از آن، عذاب آخرت است. عذاب دنیا با مرگ به سر می رسد. وقتی کسی مرد معذب نیست و نمی گویند مردگان معذب یا محروم هستند. بدن مرده در قبر چیزی نیست که معذب یا متنعم باشد. سختی و آسایش برای کافر و مومن بعد از محاسبه در قیامت خواهد بود. لازم است اولین و آخرین نفرات برای حسابرسی مجتمع شوند؛ روز قیامت از قبر ها برانگیخته شده و بازخواست شوند. کما این که می فرماید: آنها را سر گذرها نگه دارید که مسئولند.[[26]](#footnote-27) سپس هر کس به موقعیت قیامتی خود که یا سراسر نعمت است و یا عذاب، منتقل شده تا ابد در آن حال خواهد بود. کسی که در قیامت از نعم الاهی محروم شود، گرسنه و تشنه باشد، تا ابد در آن حال بوده، آب و غذائی ندارد و هرگز نمی تواند عذاب را از خود دفع کند، چنان که می فرماید: در آن عذاب تا ابد هستند. پس عذاب آخرت از این جهت که ابدی است بزرگ تر از عذاب دنیا است که با مرگ تمام می شود.

**عذاب ابتلائی و انتقامی:**

نکتۀ دیگر مورد بحث در این داستان اینست که خداوند تعالی اصحاب باغ را به سبب نیت بدی که در سر داشته، تصمیم گرفته بودند وقتی محصول باغ خود را برداشت کنند فقرا و مساکین را بی خبر بگذارند، عذاب کرد، محصول باغ آنها را قبل از برداشت و قبل از این که حق فقرا را نادیده بگیرند، فقط به صِرف نیت گناه، با گرد بادی نابود کرد. با این که در روایات گفته شده خداوند تعالی معصیت کار را قبل از ارتکاب گناه، فقط به سبب نیت گناه مجازات نمی کند ولی مطیع را به خاطر نیت اطاعت، قبل از اطاعت ثواب میدهد.

در توضیح این مسئله می گوئیم عذاب در تقدیر خداوند متعال دو معنا دارد؛ عذاب ابتلائی و عذاب انتقامی. یک وقت خداوند تعالی بندگان خود را بدون ارتکاب گناه مبتلا می کند، کما این که می فرماید: آنجا که ابراهیم را به حوادثی مبتلا نمود...[[27]](#footnote-28)و یا می فرماید: ما شما را با حوادثی مانند خوف از دشمن، فقر و گرسنگی و...آزمایش می کنیم.

و یک وقت از بنده ای با انواع عذاب انتقام می گیرد. این دو عذاب ابتلائی و انتقامی هر یک شرائطی دارد.

ابتلائات به هر صورت مخصوص مومن است و خداوند متعال برای تعلیم و تربیت بندۀ مومن خود بلاهائی مثل فقر و بیماری و ایذاء کافران و منافقان را مقدر می کند. می داند که بندۀ مومن در اثر ابتلائات متوجه حق شده، به خدا پناه برده و برای رفع عذاب از خدا کمک می خواهد و با این پناهندگی خدا بلا و مصیبت را از او برطرف می کند. یا اگر این بندۀ مومن تصمیم به ارتکاب گناهی بگیرد، مخصوصا گناهان مهلکی مثل قتل نفس محترم، عاق والدین و زیر پا گذاشتن حق مردم، مثل این صاحبان باغ که تصمیم به محروم کردن فقرا از زکات گرفته بودند، به این دلائل خدا او را به بلائی مبتلا می کند تا از تصمیم خود به گناه برگشته، به هلاکت آخرتی دچار نشود. هم چنین وقتی خداوند تعالی می داند مومن بعد از ارتکاب گناه و گرفتاری به آثار سوء آن متنبه می شود، اجازه میدهد آن گناه را مرتکب شود، مانعی سر راه او قرار نمیدهد، تا بالاخره موفق به توبه شود. این ابتلائات در زندگی دنیا برای مومنین یا برای کسانی است که در اثر این ابتلائات ایمان می آورند. آنها را مبتلا می کند تا دانا شوند و ایمانشان کامل شود.

صاحبان باغ( در داستان فوق )فرزندان پدری مومن و نیکوکار بودند که چون حق فقرا را می پرداخت، فقرا او و خانواده اش را دوست داشته دعاگویشان بودند. اما حال که خدای متعال می داند آنها با محروم کردن فقرا از حقی که همیشه در زمان برداشت محصول منتظر دریافت آن بوده اند محبت آنها را به عداوت تبدیل می کنند، ثمرات باغ را به موقع نابود کرد؛ فقرا که دیدند محصول باغ به تقدیر خدا از بین رفته، عذر صاحبان باغ را پذیرفته شکایتی از آنها نزد خدا نداشتند. اکثر این عذاب ها ابتلائی، و مخصوص مومنین است.

اما عذاب انتقامی خدا مخصوص کافران است. از آنجا که خدا می داند کافر از گرفتاری های دنیا ادب نشده، به جای ترک کفر و عصیان، بیشتر معصیت می کند، آنها را به حال خود واگذاشته، در دنیا مبتلا و معذب نمی کند و تا رسیدن به آخرت مهلت می دهد. می فرماید: کفارخیال نکنند مهلت و فرصتی که به آنها داده ایم به نفع آنها است. بلکه تا گناهانشان زیاد تر شود بیشتر خوار و ذلیل شوند.[[28]](#footnote-29)و در آیه دیگر میفرماید: اما کسانی که آیات ما را تکذیب می کنند آرام آرام ندانسته به جهنم کشیده می شوند.[[29]](#footnote-30)

بر اساس این تحقیق، خداوند تعالی در دنیا دو عذاب ابتلائی و انتقامی برای مردم مقدر کرده است. عذاب ابتلائی به اراده خدا و مخصوص مومنین مقدر شده تا سعادت آنها را با این مصائب تأمین کند، آنها را از اقبال به دنیا منصرف یا کند نموده، به آخرت بیشتر راغب کند. و عذاب انتقامی مخصوص کفار و معاندان است که خدا آنها را در خط کفر و دنیا پرستی رها کرده تا به دست خود و در نتیجۀ اعمال خود برای خود عذاب ایجاد کنند.گفته می شود عذاب کفار به مشیت خدا واقع می شود نه به اراده خدا، بلکه به اراده کفار ایجاد می شود نه به مشیت آنها؛ و مشیت خدا غیر از ارادۀ حقتعالی است، هم چنان که مشیت کفار غیر از ارادۀ آنها می باشد. مشیت خدا علم خدا به افعال کافران است بدون این که عملی همراه با اعمال آنان انجام دهد، فقط آنها را به حال خود آزاد گذاشته، مانع خواست آنها نمی شود گرچه قادر به ممانعت است. مشیت کفار علم و عمل آنها در خط معصیت تا رسیدن به ساخت آتش جهنم است.

**وعدۀ خدا به پرهیز کاران:**

بعد از این داستان و تفسیر و تأویل مورد نظر، خداوند تعالی آنچه را برای پرهیز کاران در زندگی آخرت اراده کرده ذکر می کند، می فرماید:

آیۀ، 34- پرهیز کنندگان در تقدیر خدا باغ هائی پر از نعمت و ثروت دارند.

یعنی در زندگی آخرت برای آنها هر چه را بخواهند فراهم کرده است. کما این که می فرماید: آنچه میل دارید و از آن لذت می برید آماده است...[[30]](#footnote-31)

 **آیات 35 الی 41-**

**شأن استفهامات قرآن:**

در این آیات سؤالاتی برای مومنین و مجرمین مطرح شده به این منظور که مقدار فهم آنها را در پاسخ به این سؤالات مشخص کند. می فرماید: مگر می شود که تقدیر نامه مسلمان مانند مجرم و گناه کار باشد؟ شما چطور قضاوت میکنید؟ کتابی دارید که بخوانید و بدانید که قضاوت با شما است، هرچه بگوئید چنان خواهد شد؟

طرح این سوالات برای نشان دادن میزان فهم مردم است نه برای این که خدا آنچه را ندانسته بفهمد؛ شأن سوالات قرآن و اولیاء الله (ع) همین است. می پرسد شما فکر می کنید که ما مسلمان و مجرم را با وجود دوگانگی در اعمال و اخلاق و کفر و ایمان و اطاعت و معصیت در یک موقعیت قرار می دهیم؟ چگونه ممکن است این دو راه کاملا متباین رهروان خود را به یک مقصد بکشاند؟ شما مجرمان چگونه قضاوت می کنید؟ اگر عقل خود را بکار ببرید خواهید دانست که عاقبت کار شما چه خواهد شد. اگر کتابی دارید که سرمایۀ درس و دانش شما است و بر اساس علمی که از آن کتاب گرفته اید قضاوت می کنید که عاقبت کارِ شما بهتر از مومنین و یا در اجر و ثواب برابر با آنهاست آن را به ما نشان دهید و ثابت کنید که خداوند انتخاب و اختیار را به شما واگذار کرده تا هر چه را بخواهید برای خود برگزینید؟1

یا شاید عقیده دارید که بین ما و شما عهد و پیمان و قول و قراری بسته شده، قول داده ایم شما را از مسیر کفر و معصیت که در پیش گرفته اید به انواع نعمتها و خیر و برکت ها در قیامت برسانیم؟! کدام یک از شما خود را ضامن این معاهده دانسته، به کافران دیگر هم خبر می دهد که من با خدا معاهده دارم خیر شما را از راه شرارت شما، و بهشت شما را از راه جهنم شما برسانم؟! چه کسی از شما مسئولیت این کار را به عهده می گیرد؟ آیا امکان دارد شما بگوئید خدا با ما عهد بسته سعادت ما را از راه شقاوت ما تأمین کند؟ چگونه ممکن است خیر از شر حاصل شود و ایمان از کفر و بهشت از مسیر معصیت، چه به ارادۀ خدا یا ارادۀ خلق خدا؟!

سپس می پرسد: شاید شرکائی( در کار خدا )دارند که به آنها چنین وعده هائی داده اند؟ این شرکا را معرفی کنند! کفار همتایانی برای خدا قرار داده و آنها را مثل خدا دوست دارند. [[31]](#footnote-32) فکر می کنند که آنها خط و راه زندگی را تعیین می کنند و با پیمودن آن خطوط به خیر و سعادتی که در دنیا و آخرت می خواهند می رسند، آنها را به موفقیتی می رسانند که با هدایت خدا می رسند. از آنها می پرسد چه کسی می تواند میوه ها و نعمت هائی مثل آنچه خدا آفریده بیافریند تا شریک خدا باشد؟ در آیات 39 تا 41 می فرماید:

یا عهد و پیمانی تا روز قیامت با ما دارید که هر چه بخواهید چنان باشد. از آنها بپرس کدام یک زعیم چنین معاهداتی هستند. یا شاید شریک خدایند، اگر راست می گویند شرکای خود را بیاورند.

با این سؤالات معلوم می دارد که کفار در دنیا و آخرت پشت و پناهی ندارند که روزی آنها را برساند و عذاب را از آنها بر طرف کند زیرا خدا ولی اهل ایمان است و کفار مولائی ندارند.[[32]](#footnote-33)

**قضاوت مشرکان در بارۀ اجتماع نقیضین:**

و شاید روی سخن خداوند تعالی در این آیات با نصارای امت مسیح ( ع ) در ردّ عقاید دروغینی است که برای خود و امت مسیح وضع کرده،آن دروغ ها را به خدا و مسیح نسبت داده اند. از آن جمله می گویند مسیح پسر مریم علیه السلام با خدای خود عهد بسته که امت او را در آخرت عذاب نکند هرچند دروغگو و عصیانگر و ظالم باشند. از خدا درخواست کرده امت او را عفو کند گرچه کفر و معصیت آنها به حدی باشد که واجب شود خدا آنها را عذاب کند. می گویند مسیح از پروردگار یا پدر خود می خواهد که او را به سبب کفر و ظلم امتش در قیامت عذاب کند، و می گویند خدا برای کافران و ظالمان امت مسیح مقدر نموده که مسیح خودش با تحمل عذاب ظالمان و کافران امت خود در روز قیامت، آنها را نجات دهد. او چند روزی عذاب را تحمل کرده، سپس خود و امت خود را از صراط گذرانده به بهشت می برد.

با وضع چنین بدعت هائی، علمای مسیحی مردم را در اجرای واجبات و مستحبات دین مسیح آزاد گذاشته، ترک مکروهات و محرمات و حتی گناهان کبیره را هم واجب نمی دانند. آنها احکام و سنت های عیسی (ع)، حتی قانون ختنه پسران را که سنت ابراهیم خلیل (ع)و پیروان او بوده لغو کرده اند. این بدعت ها باعث شده امت مسیح به این خیال که مسیح مسئولیت خطاکاری امت را پذیرفته و خدا آنها را عذاب نمی کند، احکام و سنت های پیامبر خود را ترک نموده، در قبال گناهان کوچک و بزرگ، صدقه و کفاره ای از دارائی خود به پیشوای خود پرداخت کرده، مورد عفو واقع می شوند. به این ترتیب مکررا معصیت کرده و صدقه می دهند، نمی دانند که گناهان همان جهنم گنه کاران است. مثل کسی که خود را می سوزاند و صدقه می دهد. پیشوای آنها با گرفتن پول، بهشت را به آنها می فروشد،گویا بهشت ملک آنها است که به هر که بخواهند بفروشند، حال آن که خدا می فرماید: مگر نمی دانند که قبول و اخذ صدقات فقط با خدا است...[[33]](#footnote-34) خداوند هر که را بخواهد به بهشت، و هر که را بخواهد به جهنم داخل کند.

امت مسیح دانشمندان و راهبان خود را شریک خدا دانستند[[34]](#footnote-35) گویا آنها با خدا یا با عیسی پسر مریم عهد و پیمان بسته اند که هر چه بگویند خدا همان را قبول کند، معصیت کاران را به بهشت ببرند گرچه در راه جهنم هستند. از نظر آنها اعمال بد و خوب مساوی است و بهشت و جهنم را مربوط به اعمال نمی دانند، فکر نمی دانند که رضایت خدا و دخول در بهشت محال است با معصیت به دست آید. گناه و معصیت راه جهنم و نیکو کاری راه بهشت است؛ راه بر راهرو حاکم است و محال است خدا و یا اولیای خدا کسی را در راه جهنم به بهشت داخل کرده یا در راه بهشت کسی را به جهنم داخل کنند. غیر ممکن است که چیزی غیر از آنچه هست باشد. انسان ابتدا در رحم مادر خلق شده، و بعد از تولد شخصیت او از مسیر علم و عمل ساخته می شود. ایمان به خدا شخص را مومن کرده، اطاعت از خدا از او یک پیامبر می سازد، شیطنت، انسان را شیطان می کند و نفاق و شرک و کفر او را منافق و مشرک و کافر می سازد. هیچ کس نمی تواند خود را از عمل خود جدا بداند، مگر توبه کند و خدا را وسیلۀ نجات از نتیجۀ عمل خود قرار دهد.

**آیات 42 و 43-**

**روز میقات و کشف حقایق:**

سپس خداوند تعالی از حال مشرکان در قیامت خبر داده، می فرماید: فردای قیامت که حقیقت ها کشف است دعوت به تسلیم میشوند ولی از نظر روانی آمادگی ندارند(روح کفر و تکبر بر آنها حاکم است ). ذلت و خواری آنها را فرا می گیرد چشم آنها در نهایت خشوع است. در دنیا دعوت به تسلیم شدند که سالم بودند.

در این آیات از تحولاتی که انسان در خط شرک و اعمال بد پیدا می کند خبر داده، می فرماید در قیامت وقتی امر به تسلیم و سجده برای خدا می شوند نمی توانند اطاعت کنند. زیرا قبلا پروردگار خود را فراموش کرده، معرفت به او پیدا نکرده و اطاعت نکرده اند تا مومن و صالح شده، بتوانند از اطاعت پروردگار خود لذت برده و از این که آنها را مومن و صالح قرار داده تشکر کنند. کسی که عظمت پروردگار خود را درک نکند نمی تواند در برابر او سجده کند و وقتی معرفت به خدا نداشته و او را مافوق خود نمی داند خاضع نمی شود.

امت مسیح که شریکانی برای خدا تراشیده، و آن مدعیان شراکت در قضاوت های الاهی می گویند خداوند روز قیامت احدی از امت مسیح را به خاطر شرک و معصیتش عذاب نمی کند اکنون در روز قیامت می بینند که آن ادعاها دروغ بوده و امکان ندارد علمای مسیحی و ارباب و رهبان مسیحیت شریک خدا باشند تا خدا به قضاوت آنها عمل کند، معصیت کاران را عذاب نکند یا مسیح را مسئول اعمال امت خود بداند. بلکه خدای تعالی فرموده است: هیچ کس مسئولیت دیگری را نمی تواند به دوش بگیرد.[[35]](#footnote-36)

در این آیه روز قیامت روز «کشف ساق» نامیده شده، روزی که پرده از روی حقایق بر داشته شده، هر چیز همانطور که هست وانمود می شود، هم چنان که روز «تبلی السرائر» است، روزی که پرده ها و ابهامات از چشم و دل انسان ها برداشته شده،[[36]](#footnote-37) هر کس هر چه برای فردای خود تقدیم کرده می بیند. همان طورکه پوشش از ساق زن و مردی برداشته می شود تا معاصی آنها آشکار شود، پرده از ساق امت ها هم در قیامت بر داشته شده، اعمال و گفتار آنها آشکار می شود.

**ناتوانی از سجده در قیامت:**

در روز قیامت کفار دعوت به سجده شده ولی کفر آنها باعث می شود نتوانند به پروردگار خود سجده کنند. زیرا سجده حالتی ناشی از ایمان است و عاملی که انسان را به سجده در برابر پروردگار خود وادار می کند روح ایمان است. یک چنین روحیه ای فقط در قلب کسی ایجاد می شود که به پروردگار خود ایمان آورده، مخلصانه در حالتی نه از سر طمع و ترس بلکه با خشوعی که از درک عظمت خدا برایش حاصل شده خدا را سجده کند. سجده ای که از سر ترس و طمع بر اثر روبرو شدن با جهنم و مشاهدۀ بهشت انجام شود سجده نیست. روح ایمان عاملی غیر از اخلاص ندارد و اگر روح ایمان در دل نباشد، در قبال دعوت به سوی خدا مرده ای بیش نیست. روح مرده مثل جسم مرده است که نمی تواند سجده کند و برای عبادت خدا آماده شود

مسلما هر حرکتی در وجود انسان مولود عامل روحی خاصی است. روح حیوانی عامل حرکت حیوان برای تهیه غذا، و روح علم عامل حرکت انسان برای تهیه خواسته های خود، و روح ایمان عامل حرکت مومن برای عبادت خدا است. این روح ایمان با تهدید و تطمیع و بعد از دیدن بهشت و جهنم در قلب انسان ایجاد نمی شود. بنا بر این تنها عامل محرک برای عبادت و اطاعت خدا روح ایمان است. انسان در دنیا می تواند این روح را به دست آورده، خداوند متعال را عبادت و سجده کند. وقتی به خداوند عظیم کافر شد، به گناه و معصیت کشیده شده تا روزی که مرگ او فرا برسد. سپس با همان حال کفر زنده شده، و این حالت سد و مانع بزرگی برای درک مقام پروردگار و خشیت از اوست. در این حال که ایمان خود را از دست داده و کفر وجودش را فرا گرفته نمی تواند پروردگارش را سجده کند. روزی که او در دنیا به اطاعت از خدا دعوت شد همچون مسافری بود در ابتدای راه، نه مومن و نه کافر. نه قدمی به جلو برداشته بود که به مقصد نزدیک شود و نه به عقب، که از مقصد دور شود. می توانست مقصد خود را به سوی خدا تعیین کرده و سپس حرکت کند. اما مقصد را ترک کرد و با ظلم و دشمنی به پستی کشیده شد. کفر در وجودش ریشه کرد و شیطان با او تماس گرفت به خبط و خطا وادارش کرد. پس چنین مانعی مثل کفر نمی گذارد کافر در آخرت پروردگار خود را سجده کند.

در آیات 44 و 45، خداوند تعالی رسول خود (ص) را مخاطب قرار داده، از او می خواهد کار تکذیب کنندگان قرآن را به خدا وا گذارد. می فرماید:

مقدرات کسانی را که این قرآن را تکذیب میکنند به من واگذار کن. آرام آرام از جائی که نمی دانند گرفتارشان خواهم کرد. در دنیا به آنها مهلت می دهم. سیاست من حکیمانه است.

**آیات 44 الی 47-**

**امهال، املا و استدراج، کید الاهی برای تکذیب کنندگان است:**

در این دو آیه خداوند تبارک و تعالی به حقایقی اشاره می کند که فقط بندگان مخلص او می فهمند. حقیقت اینست که هرکس راهی را که خداوند تعالی او را به پیش ببرد رها کند لاجرم به راهی قدم می گذارد که خودش باید خود را به پیش ببرد و این راه ظلم و دشمنی به انفجارات هسته ای که جهنم کفار است منتهی شده، در قیامت به آن مبتلا خواهند شد. خداوند تعالی او را قدم به قدم در راه ظلم به سوی جهنم خودش پیش می برد.

رسول خدا (ص) بسیار مشتاق و حریص بود که کافران را از ذلت کفر نجات داده به راه خلوص و ایمان بکشاند چنان که گویا می خواست با عوامل جبری آنها را به قبول دین خدا وادار سازد تا گرفتار عواقب کفر و عصیان خود نشوند. اما خدای تعالی به ایشان می گوید تکذیب کنندگان را به من واگذار کن؛ راجع به آنها با من حرفی نزن و درخواستی نداشته باش، آنها راه خیر را ترک کرده و چنین کتابی را که به راه خیر و سعادت هدایت می کند تکذیب میکنند. بعد از حق چه چیزی غیر از گمراهی به دست می آورند؟ چگونه ممکن است شما و یا خدای تعالی در بی راهه کسی را هدایت کند و در راه بدبختی خوشبخت کند و از راه جهنم به بهشت ببرد؟ اراده خدا به چنین کاری تعلق نمی گیرد و خدا هیچ کاری بدون اسباب و علل انجام نمی دهد.[[37]](#footnote-38) ممکن نیست خدا با اسباب خیر شر بسازد و با اسباب شر خیر، و کسی را در راه کفر و ضلالت به ایمان و هدایت برساند. هر مقصدی راه مخصوصی دارد که غیر از آن ممکن نیست و اراده خدا یا خلق خدا آن را عوض نمی کند. نه وجود عدم است و نه عدم وجود است. مومن در طریق ایمان راه رسیدن به پروردگار خود را طی می کند، حتما خوشبخت شده و داخل بهشت می شود، و کافر هم در طریق کفر راه شیطان و راه سرکشی را طی کرده، حتماً به آتش خود می رسد، مگر این که توبه کند و برگردد. امام و پیامبر و مومن و مومنه نمی تواند از خدا بخواهد خیر را شر و شر را خیر کند. ماهیت ها لوازم ذاتی خود را از دست نمی دهند، تا هستند به حال خود محفوظند. عذاب ملازم کفر و طغیان است همانطور که زوجیت ملازم عدد چهار، و اضلاع ثلاثه ملازم مثلث است. زوج همان فرد نیست و فرد زوج نیست. پس محال است که چیزی لوازم ذاتی خود را از خود جدا کند. اجتماع نقیضین و مثلین محال است، به اراده خدا یا به ارادۀ خلق فرقی ندارد. محال بودن به معنی نتوانستن خدا نیست بلکه درخواست عدم در عین وجود غلط است. تو از خدا بخواهی عدم بسازد! عدم را وجود و وجود را عدم کند! عدم غیر از اِعدام است. خداوند متعال موجودات را در حالی که نبودند، بدون سابقه ایجاد کرد اما این به معنای موجود کردن معدومات نیست. هم چنین موجودی را به عدم بر می گرداند، نه به این معنا که وجود را عدم و عدم را وجود قرار دهد. عدم ها ذاتا و مفهوما عدمند، چیزی نیستند که ارادۀ خدا به آن تعلق گیرد.

پس اگر از خدا بخواهی که از کفر سعادت حاصل کند و از ایمان شقاوت، از او خواسته ای که عدم را وجود کند و اراده خدا به عدم تعلق نمی گیرد. به این دلیل به رسول خود می گوید تکذیب کنندگان را به خدا واگذار کند. آنها به تدریج از جائی که نمی دانند گرفتار خواهند شد. یعنی خدا آنها را آزاد گذاشته تا درجه به درجه به عقب برگردند، به جای سعادت برای خود بدبختی ذخیره کنند و به جای خیر شر، تا عاقبت به آتش جهنم برسند. آنها بد عمل می کنند و بدی را خوب می انگارند، چنان که خداوند تعالی می فرماید: بگو شما را آگاه کنم چه کسانی بیشترین خسارت ها را برده اند، همان ها که در بیراهه فعالیت می کنند و خیال میکنند که در راه نجاتند و اعمالشان حیات بخش است.[[38]](#footnote-39) آنها در خط جهنم سازی برای خود هستند و فکر می کنند برای خود بهشت سازی می کنند

**تعریف استدراج:**

استدراج و تدریج از درجه، به معنی فوق و برتر بودن چیزی یا شخصی نسبت به دیگری است، که البته درجه در معنی دوم، یعنی تفوق شخص بر شخص دیگر پیدا می شود. چنان که خداوند تعالی می فرماید: و للرّجال علیهنّ درجه...[[39]](#footnote-40) حق مدیریت زندگی با مردان است. برای مرد بر زن درجه قائل است و او را بر زن برتری می دهد. به نردبان هم که به وسیلۀ آن از پایین به بالا می روند مدرجه می گویند.

ممکن است بگوییم درجه کلمه ایست که تفاوت مرتبه را نشان می دهد، چه بالاتر باشد چه پایین تر، چنان که این آیه نشان می دهد که خداوند تعالی کافران را درجه درجه پیش می برد، حال آن که فعالیت های کفار رو به تعالی نیست بلکه رو به تسافل و رسیدن به پست ترین درکات است. پس درجه مطلقا به حرکت اشاره می کند، چه صعودی باشد و چه هبوطی. کفار به سبب کفر خود حرکات هبوطی دارند و خداوند تعالی درکات آنها را درجات وصف می کند.

لکن درجات مطلقا به حرکات صعودی دلالت می کند و شاید خداوند تعالی درکات کفار را به خاطر عقیدۀ خود آنها، به مسخره درجات می نامد، از آنجا که باور ندارند که رو به هبوط و رسیدن به درک اسفل هستند. ظالمی که ظلم می کند سقوط می کند ولی فکر می کند حالا که بر مردم مسلط شده خیلی بالا رفته است. خود را ما فوق همه می داند، در حالی که فی الواقع مادون همه و به پست ترین درک جهنم سقوط کرده است. اموالی از راه حرام جمع کرده، خیال می کند موفق و مترقی است در حالی که محکوم به جمع ثروت های نامشروع و غصب حقوق مردم است و آن اموال وبال گردن او است ولی فکر می کند او را به مقام و درجه ای می رساند. به این دلیل خداوند تبارک و تعالی درکات او را به تمسخر درجات نامیده، می فرماید: از همین راه برتری جوئی او را به هلاکت میرسانم.

سپس می فرماید: در دنیا به آنها مهلت میدهم سیاست من حکیمانه است.

املاء یعنی امهال، مهلت دادن به فرد مَلی و غافل؛ که نمی داند چه می کند و برای خود چه عاقبتی می سازد. یعنی شخص مُمهَل را در فرصت هائی که به او داده ای آزاد بگذاری تا هر طور می خواهد زندگی کرده، به نتیجۀ گناهش مبتلا نشود که بفهمد چه می کند. خداوند تعالی کافران را در زندگی مهلت داده تا به میل خود تا دم مرگ عمل کنند و آنها را تا دم مرگ و هلاکت به ظلم و گناه مؤاخذه نمی کند زیرا تنبّه پیدا نمی کنند؛ چنان که می فرماید: کفار را مهلت بده باز هم مهلت، تا مرتبه سوم[[40]](#footnote-41).

کلمۀ«اِملاء» مترادف امهال است و در مورد کسی به کار می رود که خلاء مالی یا چیز دیگر ندارد و دست او پر است. فقر و مرض را احساس نکرده تا متنبه شده و از پروردگار خود تقاضائی کند. گاهی به کسی که در فقر و مرض گرفتار شده مهلت می دهند تا به پروردگار خود پناهنده شود، و او توجه نمی کند. چنین کسی «مَلی» نیست و چه بسا خاضع و متنبّه شود. و گاه پروردگار متعال به کسی که دستش از مال و منال پر است مهلت می دهد. این شخص مَلی و در حال اِملا است، که می فرماید: و اُملی لهم... او را در حال غفلت از معاد رها و آزاد گذاشته تا با جهنم روبرو شده و معذب شود. کافران چنان زندگی را به بازی گرفته و خود را بهره مند می دانند که غرق غفلت شده بناگاه با روز موعود روبرو می شوند و دیگر مهلتی ندارند.[[41]](#footnote-42)

سپس می فرماید: سیاست من خیلی حکیمانه است. کید، مکر و سیاست با دشمن است به طوری که او را به دام انداخته و هلاک کنی بدون این که فرصتی برای نجات داشته باشد. مکر خداوند با کافران این طور است و او بهترین مکر کنندگان است. آنها را به چنان دنیا سرگرم ساخته که از خطر ها بی خبر هستند.

**اجر پیامبران خدا:**

سپس در توبیخ تکذیب کنندگان می فرماید: مگر از آنها اجری می طلبی که از پرداخت آن عاجز هستند؟ سبب روی گرداندن آنها از دین پیامبر چیست؟ آیا پیامبر خدا (ص) برای این که با تعلیمات خود آنها را از جهل نجات دهد و به دین خدا دعوت کند اجری خواسته است؟ می بینیم که همه پیامبران الاهی مخصوصا خاتم آنها هرگز در برابر دعوت و تعلیمات و خدمات خود اجری از مردم نخواسته و همه جا گفته اند: ما از شما اجری نمیخواهیم. اجر ما فقط با پروردگار عالمیان است. و رسول الله (ص) می فرماید: من از شما اجر و مزدی بجز محبت ذوی القربای خود نمی طلبم.[[42]](#footnote-43)و این اجر را برای نجات شما از کفر و گمراهی می طلبم.

مودت به معنی تبعیت و استفاده از هدایت و تعلیمات ائمه (ع) است. مسلما کسی که از هدایت آنها بهره مند شود از گرفتاری های دنیا و آخرت نجات می یابد. پس رسول خدا (ص) در خواستی نکرده که برای مردم سنگین باشد تا از اسلام فرار کنند. هرگز رسول خدا (ص) و ائمه (ع) و علمای مکتب آنها چنین مزدی نخواسته اند. خدا دین و دعوت خود را به وسیلۀ آنها در دسترس بشر گذاشته و از آنها خواسته برای نجات خود به آنها اقتدا کنند.

و باز در آیۀ 47 آنها را به خاطر بدعت ها و خرافاتشان که عیسی و مریم علیهما سلام را مسئول گناهان خود قرار داده می گویند آنها امت خود را با همۀ عصیان و کفرشان به بهشت می برند توبیخ نموده می فرماید: یا علم دارند که آنچه می دانند و می نویسند درست است؟

**آیات 48 الی 50-**

**نکات تازه در حکایت یونس(ع):**

 سپس خداوند تبارک و تعالی پیامبر خود را برای اجرای احکام و تقدیرات الاهی امر به صبر نموده، مبادا مثل یونس صاحب حوت باشد که در شکم ماهی پروردگار خود را به کمک خواست در حالی که از کم صبری خود در برابر آزار و اذیت مردم خودش را ملامت می کرد. می فرماید: در اجرای حکم خدا استقامت کن، مانند یونس نباش که در زندان تاریک شکم نهنگ به خدا نالید و مورد ملامت بود؛ رسول خود را نهی کرده و بر حذر می دارد از این که مثل یونس ابن متی باشد.

یونس علیه السلام پیامبری از اهالی نینوا، یکی از شهر های عراق بود که مردم را به خدا پرستی دعوت کرده و به ترک بت پرستی و سایر گناهان امر می کرد. آنها او را تکذیب و مسخره کردند، اما لازم بود که ایشان در برابر آزار و تکذیب مردم صبور باشد تا روزی با فهم و شعور خود ارزش دعوت پیامبر خود را بفهمند و ایمان بیاورند. این مصیبت ها چنان بر آن حضرت فشار آورد که آنها را نفرین کرد و شهر خود را ترک کرد، صبر نکرد تا مردم عاقل شده دعوت او را بفهمند.

مردم در مقایسه با پیامبران مثل کودکان و پدران هستند. پدر لازم است اولا بیش از حد تحمل کودک به او فشار نیاورد و توقع رفتار افراد بالغ را از او نداشته باشد. جسم و عقل کودک ضعیف است و اگر پدر کاری را که به بیست ساله و سی ساله ها محول می کنند به او تحمیل کند از او اطاعت نمی کنند. پس لازم است پدر به آنها سخت نگرفته بگذارد به بازی مشغول باشند. چنان که در آیاتی به پیامبر خود می فرماید بگذار به بازی مشغول باشند[[43]](#footnote-44)

پیامبران خدا مثل پدر برای مردم هستند. لازم است امت خود را از بت پرستی نهی کنند واذیت آنها را تحمل کنند. مسلما عقل و ایمان پیامبر زمان به حدی رسیده که امر و نهی خدای تعالی را درک کرده و خالصانه خدا را بپرستد، از ظلم و طغیان و بت پرستی وحشت داشته باشد. او مثل پدری عالم و مردم مثل کودکان او هستند، که هنوز علم و ایمانشان به حدی نرسیده که بتوانند بازی و بت پرستی را ترک کنند. لازم است پیامبر خدا با صبر و تحمل به تعلیم و هدایت آنها مشغول باشد تا وقتی که آنها به بلوغ عقلی و ایمانی برسند. صبر یونس (ع) در برابر آزار مردم کم بود، آنها را نفرین کرد از شهر بیرون رفت و خداوند تعالی او را در شکم ماهی محبوس نمود. اما مسئلۀ کم صبری بر آزار امت تقصیر محسوب نمی شود، ناشی از قصور است. آن حضرت لازم بود صبر کند و تا ظهور عذاب بین مردم باشد، تا شاید توبۀ مردم خود را ببیند. به این دلیل خداوند تعالی به رسول خود امر می کند که مثل صاحب ماهی نباشد، اذیت و آزار مردم را تحمل کند تا وقتی آنها از خواب غفلت بیدار شده و حقیقت دعوت پیامبر خدا را بفهمند.

رسول اکرم صلوات الله علیه و آله با وجود آنهمه اذیت و آزار قوم خود و با این که آن حضرت را از وطن خود تبعید کردند صبر کرد و هرگز آنها را نفرین نکرد بلکه برای آنها دعا کرده و می گفت: خدایا قوم مرا هدایت کن، آنها نادانند. و می گفت: خدایا لعن مرا موجب رحمت قرار بده؛ صبر کرد تا مردم کافر متحول شده، مسلمان گشتند.

در آیات بعد پس از این که از حالات یونس در زندان شکم ماهی و بردباری او در برابر مصیبتی که گرفتار شده بود خبر میدهد می فرماید: اگر لطف خدا او را فرا نمی گرفت در همان بیابان رها شده، و مستحق ملامت بود که از امت خود فاصله گرفت. او در شکم ماهی متوجه شد که ترک مردم در حالی که در معرض عذاب هستند و نفرین بر آنها مورد رضایت پروردگار نبوده، بلکه حق این بود که با آنها باشد و صبر کند شاید بعد از دیدن علائم عذاب توبه کنند. پس فرار او خروج از تقدیر خدای سبحان به حساب می آید و حبس او در شکم ماهی به تقدیر الاهی بوده است. چنان که خداوند تعالی می فرماید: و ذاالنون به حال غضب از قوم خود فاصله گرفت گمان کرد بر او مسلط نیستیم. در تاریکی شکم نهنگ ناله کرد که ای خدا به جز تو خدائی نیست. تو منزهی من ظالم بودم.[[44]](#footnote-45)

**قصور و تقصیر:**

چنین حالاتی در انبیاء الاهی قصور است، نه تقصیر، و به قول فقها ترک اولی است، که به سبب آن ابتلائات دنیا به آنها می رسد و گرفتاری آخرتی ندارند. اگر یونس صبر کرده، نفرین نمیکرد و در انتظار توبه مردم میماند نزد خدای تعالی سزاوارتر بود. یونس با این ابتلا قصور خود را درک کرد، توبه نمود و به خدا نالید که: جز تو خدائی نیست منزه هستی و من از ظالمان هستم.

یونس (ع) قصور خود را درک کرد، زیرا می بینیم بعد از توبه مأموریت الاهی خود را از سر گرفت. وقتی از دل ماهی به ساحل انداخته شد، خداوند تعالی بوته کدوئی برایش رویاند تا در سایه آن استراحت کرده، حالش بهتر شود. سپس نزد قوم خود بازگشت و مشاهده کرد آنها از عذاب مقدر نجات یافته و تحول پیدا کرده اند. آن حضرت که قبل از توبه مقام نبوت را داشت اکنون به مقام رسالت رسید که خداوند تعالی می فرماید: ما او را بسوی امت صد هزار نفری یا بیشتر رسالت دادیم.[[45]](#footnote-46) بنا بر این قصور یونس مثل قصور آدم علیه السلام است که خدای تعالی می فرماید:[[46]](#footnote-47) آدم نافرمانی خدا کرد و گمراه شد، بعد از آن توبه کرد خدا به او امتیاز داد و هدایت فرمود.

یونس بعد از عصیان خود که نفرین و ترک مردم در شرایط نزول عذاب بود مأمور به باز گشت نزد مردم و هدایت آنها به خدا پرستی شد، توبه کرد و رسالت خود را به انجام رساند. اینست که در آیۀ 50 می فرماید: خدا او را به شغل نبوت برگردانید و از بندگان شایستۀ خود قرار داد. این برگزیدن بعد از توبه از گناه کم صبری بود.

شاید بگوئیم ابتلاء یونس (ع) تنبیه نبوده زیرا انبیاء الاهی معصوم هستند و عصیان با عصمت منافات دارد.. اگر یونس به حکم خدا مأمور و مبعوث شده مردم را به اطاعت خدا دعوت کند و تا بیداری و آگاهی کامل مردم صبر کند و نفرین نکند، پس بر خلاف حکم خدا رفتار کرده و خداوند برای کفاره گناهش او را به این گرفتاری مبتلا کرده است. در این صورت عصیان کرده و این خلاف عصمت است. اما می گوئیم او به قدر طاقت خود مامور به دعوت و نصیحت و صبر در این مأموریت بوده، و البته اگر میتوانست صبورتر باشد و بماند اجر و مقام او نزد خدا بیشتر بود و خدا از پیامبر خود انتظار دارد صبر داشته باشد. لیکن تکذیب و استهزاء مردم او را بی طاقت کرد و صبر از کف داد. نفرین و ترک مردم در این حال معصیت نیست زیرا پروردگار متعال بیش از طاقت کسی به او فرمان نمی دهد و اینجا هم می داند که اگر یونس را به صبر و طاقت امر کند او چنین تحملی ندارد. او را امر نکرد، در عین حال که صبر را برایش خواست، مثل توقع از آدم در نخوردن از شجره، و توقع از نوح که نجات پسرش را از خدا در خواست نکند. خداوند تعالی این مصیبت ابتلائی را برای یونس مقدر کرد، چنان که برای همۀ پیامبران و مومنین مقدر کرده و فرموده: ما بندگان خود را مبتلا میکنیم.[[47]](#footnote-48) و فرموده: آنجا که خدا ابراهیم را به حوادثی مبتلا نمود... و موارد دیگر. پس از آنجا که خداوند تعالی می داند یونس به سبب این مصیبت متنبه شده به انجام مأموریت قبلی خود برای هدایت مردم برمی گردد، و ضعف نفس و قصور فهم او برطرف شده، می فهمد که با ترک جهاد نمی تواند از تقدیر الاهی فرار کند، او را مبتلا می کند، چنان که می فرماید: ذاالنون چنین پنداشت که ما بلائی برایش مقدر نمی کنیم... یونس وقتی خود را در شکم نهنگ زنده و هشیار یافت غم و اندوه شدیدی او را فرا گرفت، در آن ظلمات عجیب به خدا نالید که: خدائی جز تو نیست تو منزهی، من ظالم بودم. خواهش او را اجابت نمودیم از تنگنای غم و اندوه نجاتش دادیم اهل ایمان را این چنین نجات می دهیم.[[48]](#footnote-49) پس متنبه شده به سوی قوم خود برگشت، مشاهده کرد آنها هم توبه کرده و ایمان آورده اند.[[49]](#footnote-50)

 **آیات 51 و 52-**

**حکمت چشم زخم:**

در آخرین آیۀ این سوره خداوند تعالی از مصیبت هائی که پیامبر (ص)ازحسرت و حسادت کفار متحمل شده خبر می دهد که آنها چون تحمل دیدن آنهمه علم و حکمت و معجزات و کرامات رسول خدا صلوات الله علیه و اله را نداشته اند،گویا با نگاه خود قصد نابودی ایشان را کرده بودند. می فرماید:

کفار از شدت حسد چنانند که وقتی قرآن را میشنوند می خواهند تو را با چشم خود محو کنند. می گویند او دیوانه است. با اینکه او پیغمبری است شناختنی برای عالمیان.

یعنی کفار وقتی آیاتی را که تو از کتاب خدا قرائت می کنی می شنوند تعجب می کنند از این که انسانی به این درجه از تقرب و مقام عظیم نزد خدا برسد که کلام خدا را بشنود و به آیات اوگوش بدهد، و از آنجا که تحمل درک این مقام و مسئلۀ نبوت را ندارند می گویند او دیوانه است. در این آیه خداوند تعالی دو مسئله علمی را بیان میکند؛ ضرر چشم و دلیل این را که به پیامبر (ص) مجنون می گویند.

چشم و چشم زخم در تاریخ مشهور است. روایاتی هم می گوید که: چشم زخم انسان را به گور و شتر را به دیگ می برد. با این آیات و احادیث به ما تذکر داده اند که ممکن است کسی با چشم و نظر خود به دیگری ضرر بزند چنان که حتی او را بکشد و یا بیمار کند. چشم زخم گرچه در تاریخ معروف است اما بعضی، مخصوصا پزشکان و طبیعی مسلک ها آن را قبول ندارند.

چشم زخم یعنی کسی طوری به دیگری نگاه کند که او در اثر آن نگاه بیمار شده یا بمیرد. راجع به این مسئله حکایات عجیب و غریبی بخصوص از سحر و ساحری در تاریخ نقل شده، و دعاهائی برای دفع سحر و کهانت به ما آموخته اند، از آن جمله آیه فوق و سورۀ «فلق» که می فرماید: از شر جادوگران و سست کنندگان عقائد.[[50]](#footnote-51) گفته شده خواندن این آیه برای دفع سحر و کهانت مؤثر و تجربه شده است. روایت شده که بعضی از کفار قریش قصد داشتند پیامبر (ص) را با چشم زدن آسیب برسانند، او را به مرضی دچار کرده که دین و دعوت خود را کنار بگذارد. منکران سحر و کهانت و یا چشم زدن می گویند چگونه ممکن است کسی با چشم خود به دیگری آسیب برساند؟ آیا نگاه مثل تیر و شمشیر است؟

حقیقت اینست که این امر امکان داشته و بارها واقع شده است. نگاه بد و حسد آلود یک شخص به دیگری ضرر می رساند، که گفته اند نظر بد تیر شیطان است. گاهی به زنی چنان چشم می دوزند که او را به وحشت می اندازد، چنان که آن نگاه مثل تیر بر قلب او می نشیند. یا به مال و جمال کسی چشم طمع و حسد دوخته، صاحب مال را آشفته می کنند، چنان که می گوید نظر بدی به ما انداخت. پس امکان این وجود دارد که کسی با گوش و چشم خود به دیگری ضرر بزند، تا جائی که حتی به بیماری یا کشته شدن منجر شود، که گفته اند: نظر انسان را در قبر و شتر را در دیگ کند. گاهی شخصی دیگری را در مال و جمال برتر از خود دیده، غم و اندوه به شدت بر دلش هجوم آورده از شدت حسد و حسرت بیمار می شود؛ به پروردگار خود بدبین شده که چرا با اکرام دیگری او را حقیر کرده است. اینجا یکی از این دو امر در تقدیر الاهی دایر شده، یا حسود را هلاک کند یا به محسود ضرری بزند، به مرض یا سلب بخشی از آنچه به او بخشیده حاسد را از هجوم هم و غم و حسادت نجات داده و شر او را از سر محسود بگرداند. حکمت خدا گاهی ایجاب می کند که نعمتی را از محسود سلب کند و گاهی ایجاب می کند که حاسد از شدت حسد و حسرت هلاک شود. بنا بر این، نظر مثل سحر است که به اذن خدا ممکن است ضرر بزند.

دین اسلام مسلمانان را به کتمان مال و جمال و نعمت های دیگر خدا دادی از چشم حسودان و بد نظران امر نموده، ائمه (ع) فرموده اند: طلا و راه و روش و مذهب خود را پنهان کن. [[51]](#footnote-52) اگر نعمتی که خدا به تو داده، مثل علم و حکمت و مال و ثروت به رخ دیگران کشیده شده و باعث حسادت و جلب نظر کسی شود، در تقدیر خدا لازم می شود نعمتی را که به رخ مردم و شخص حسودی کشیده، به آن فخر و مباهات کرده ای و حسد و حسرت او را تحریک کرده ای از تو بگیرد، و در غیر این صورت حاسد به حسد خود هلاک خواهد شد. خداوند تعالی ابتلاء تو به سلب بعضی از آن نعمت را بهتر از هلاکت حاسد می داند.

خداوند تعالی اولا ما را به کتمان نعمت امر فرموده، مبادا موجب حسادت گردد. و اگر به آن نعمت تفاخر و تظاهر کنیم آن را از ما می گیرد. مثلا در نظر بگیر که دارای فرزندانی دختر و پسر بوده و مثل یعقوب نبی علیه السلام به دوست داشتن یکی دو تا از آنها بیشتر تظاهر می کنی، در حالی که باید نگاه تو به همۀ آنها یکسان بوده و محبت و بخشش های خود را به عدالت تقسیم کنی. اگر این تساوی را رعایت نکرده، نگاه تو نسبت به یکی نگاه خاصی از روی مهر و محبت باشد یا در لباس و سایر چیزها استثنا قائل شوی باعث تحریک حسادت و ایجاد دشمنی بین فرزندان خود شده، آنها نسبت به فرزندی که مورد توجه خاص تو است حسودی خواهند کرد، همانطور که برادران یوسف گفتند یوسف را بکشید یا از زندگی خود دور کنید زیرا او و برادرش بیش از ما نزد پدر محبوب هستند[[52]](#footnote-53). در این صورت ناچار می شوی آنچه را استثنائا به یوسف خود بخشیده ای پس گرفته، همۀ فرزندان خود را به یک چشم نگاه کنی، خلعت یوسف را از تن او به در آوری. این ها همه ضررهای چشم است و به همین دلیل گفته اند ذهب و ذهاب و مذهب خود را کتمان کن.

خداوند تعالی به منزلۀ پدر و مردم به جای فرزندان او هستندخداوند تعالی می داند اگر در مسیر تربیت به بعضی از بندگان خود نعمت خاصی عنایت کند اشتیاق او به لقاء خدا بیشتر می شود اما می داند که مورد حسادت دیگران قرار خواهد گرفت زیرا اشخاص حسود ضعیف النفس و کم مایه هستند، تحمل دیدن فضل الاهی را بر دیگران ندارند. لذا خداوند تعالی اجر مومن را به آخرت موکول نموده، تا در آن زندگی بین مومن و کافر جدائی واقع شده، عده ای به بهشت و عده ای در جهنم قرار گیرند.[[53]](#footnote-54)

**آنچه حسودان قریش و منافقان حسود گفته اند:**

بعضی از قریش چنان به کمال و ادب و نبوت و مقام عظیم رسول اکرم صلوات الله علیه و اله حسادت داشتند که وقتی ذکر خدا را می شنیدند با نگاه خود می خواستند آن حضرت(ص)را از بین ببرند. خداوند تعالی او را از شر حاسدان حفظ کرده و گفتۀ آنان را که به حضرت مجنون می گفتند رد کرده، می فرماید بلکه گفتار او سراسر علم و حکمت و ذکر است برای اهل عالم. در آینده مردم خواهند دانست که تمامی آنچه پیامبر گفته و انجام داده عاقلانه ترین و حکیمانه ترین قول و عمل است.

حال که دانستیم چرا کفار قریش آن حضرت را «مجنون» خواندند باید کسانی را هم که آن حضرت را «مفتون» خواندند بشناسیم. آنها منافقانی از مسلمانان بودند که گفتند او مفتون دخترش زهرا و اولاد او( سلام الله علیهم اجمعین )است، دختر خود را سیدۀ زنان عالم و فرزندانش حسن و حسین را سید جوانان اهل بهشت و دو امام مردم معرفی می کند که در هر حال چه قیام کنند و چه بنشینند امامت دارند. به استقبال آنها می رود، دست فاطمه را می بوسد و او را «مادر پدرش» می نامد. می گفتند آنچه پیامبر راجع به اهل بیت می گوید خلاف حقیقت است. چطور می شود دختری سیدۀ زنان عالم باشد، چرا کسوت الاهی را در داستان کساء فقط بر تن او و همسر و پسرانش پوشانده و در شأن علی می گوید: هرکه من مولای او هستم علی مولای اوست. چرا علی را نبأ عظیم و تقسیم کنندۀ بهشت و دوزخ معرفی کرده، و از این قبیل اعتراضات.

در رد این گفته ها خداوند تعالی فرمود: به زودی تو و آنها می بینند کدام یک مفتون هستند؟! در حیات بعد از این دنیا مشخص خواهد شد آیا آنها مفتون زخارف دنیا هستند یا تو ای پیامبر مفتون اهل بیت خود هستی.

و الحمد لله محمد علی صالح غفاری.

1. بحارالانوار ،جلد44،صفحه 223:سَأَلْتُ الْقَائِمَ ع عَنْ تَأْوِيلِ كهيعص‏ قَالَ ع- هَذِهِ الْحُرُوفُ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ- اطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا عَبْدَهُ زَكَرِيَّا- ثُمَّ قَصَّهَا عَلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَ آلِهِ السَّلَامُ- وَ ذَلِكَ أَنَّ زَكَرِيَّا سَأَلَ اللَّهَ رَبَّهُ- أَنْ يُعَلِّمَهُ أَسْمَاءَ الْخَمْسَةِ- فَأَهْبَطَ عَلَيْهِ جَبْرَئِيلَ ع فَعَلَّمَهُ إِيَّاهَا- فَكَانَ زَكَرِيَّا إِذَا ذَكَرَ مُحَمَّداً وَ عَلِيّاً وَ فَاطِمَةَ وَ الْحَسَنَ ع- سُرِّيَ عَنْهُ هَمُّهُ وَ انْجَلَى كَرْبُهُ- وَ إِذَا ذَكَرَ اسْمَ الْحُسَيْنِ خَنَقَتْهُ الْعَبْرَةُ- وَ وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْبُهْرَةُ فَقَالَ ع ذَاتَ يَوْمٍ- إِلَهِي مَا بَالِي إِذَا ذَكَرْتُ أَرْبَعَةً مِنْهُمْ- تَسَلَّيْتُ بِأَسْمَائِهِمْ مِنْ هُمُومِي- وَ إِذَا ذَكَرْتُ الْحُسَيْنَ تَدْمَعُ عَيْنِي وَ تَثُورُ زَفْرَتِي- فَأَنْبَأَهُ اللَّهُ- تَبَارَكَ وَ تَعَالَى عَنْ قِصَّتِهِ فَقَالَ- كهيعص‏ فَالْكَافُ اسْمُ كَرْبَلَاءَ- وَ الْهَاءُ هَلَاكُ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ- وَ الْيَاءُ يَزِيدُ وَ هُوَ ظَالِمُ الْحُسَيْنِ- وَ الْعَيْنُ عَطَشُهُ وَ الصَّادُ صَبْرُهُ- فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ زَكَرِيَّا لَمْ يُفَارِقْ مَسْجِدَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ- وَ مَنَعَ فِيهِنَّ النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ عَلَيْهِ- وَ أَقْبَلَ عَلَى الْبُكَاءِ وَ النَّحِيبِ وَ كَانَ يُرْثِيهِ- إِلَهِي أَ تُفَجِّعُ خَيْرَ جَمِيعِ خَلْقِكَ بِوَلَدِهِ- إِلَهِي أَ تُنْزِلُ بَلْوَى هَذِهِ الرَّزِيَّةِ بِفِنَائِهِ- إِلَهِي أَ تُلْبِسُ عَلِيّاً وَ فَاطِمَةَ ثِيَابَ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ- إِلَهِي أَ تُحِلُّ كُرْبَةَ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ- بِسَاحَتِهِمَا- ثُمَّ كَانَ يَقُولُ- إِلَهِي ارْزُقْنِي وَلَداً تَقَرُّ بِهِ عَيْنِي عَلَى الْكِبَرِ- فَإِذَا رَزَقْتَنِيهِ فَافْتِنِّي بِحُبِّهِ- ثُمَّ أَفْجِعْنِي بِهِ كَمَا تُفْجِعُ مُحَمَّداً حَبِيبَكَ بِوَلَدِهِ- فَرَزَقَهُ اللَّهُ يَحْيَى وَ فَجَّعَهُ بِهِ- وَ كَانَ حَمْلُ يَحْيَى سِتَّةَ أَشْهُرٍ- وَ حَمْلُ الْحُسَيْنِ ع كَذَلِكَ الْخَبَر [↑](#footnote-ref-2)
2. بحارالانوار ،جلد23،صفحه 46: هَاهْ هَاهْ إِنَّ هَاهُنَا عِلْماً جَمّاً وَ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَة ٌ هَا إِنَّ هَاهُنَا وَ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ لَعِلْماً جَمّاً لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً بَلَى أُصِيب [↑](#footnote-ref-3)
3. علل الشرايع ،ج2،ص335: وَ سَجْدَتَيْنِ وَ هُوَ ص إِنَّمَا سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ عَمَّا أَخْبَرْتُكَ مِنْ تَذَكُّرِهِ لِعَظَمَةِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى فَجَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَرْضاً قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ وَ مَا صَادٌ الَّذِي أُمِرَ أَنْ يَغْسِلَ مِنْهُ فَقَالَ عَيْنٌ تَنْفَجِرُ مِنْ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْعَرْشِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ وَ هُوَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ ص وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ إِنَّمَا أَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَ يَقْرَأَ وَ يُصَلِّي [↑](#footnote-ref-4)
4. البقره، الایه 60: وَ إِذِ اسْتَسْقى‏ مُوسى‏ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدينَ

 [↑](#footnote-ref-5)
5. الشمس، 7، 8 [↑](#footnote-ref-6)
6. سورۀ مریم، آیۀ 1 [↑](#footnote-ref-7)
7. بحار الانوار، جلد 44، صفحۀ 223- از قائم علیه السلام راجع به تأویل کهیعص پرسیدم، فرمود این حروف از انباء غیب است که خداوند تعالی بندۀ خود زکریا را از آن مطلع کرده و سپس به رسول خود محمد خبر می دهد. زیرا زکریا از خدای تعالی خواهش کرد اسماء پنج تن را به او بیاموزد. حبرئیل نازل شد و به او آموخت. وقتی زکریا نام محمد و علی و فاطمه و حسن( علیهم السلام )را یاد کرد غم و غصه از دلش بیرون و گرفتاری او برطرف شد، و اما وقتی نام حسین( ع )را یاد کرد بغض گلویش را گرفت و حال عجیبی پیدا کرد. روزی عرض کرد پروردگارا چرا حال من چنین است که وقتی چهار تن از این پنج تن را یاد می کنم تسلی پیدا می کنم و وقتی از حسین علیه السلام یاد می کنم چشمم اشک بار و دلم به خروش می آید. خداوند تبارک و تعالی قصۀ او را برای زکریا حکایت کرد و فرمود: کهیعص. کاف کربلا، ها هلاک عترت طاهره، یا یزید که ظالم به حسین است، عین عطش او و صاد صبر او است. وقتی زکریا این حکایت را دانست سه روز از عبادتگاه خود بیرون نیامد و به مردم اجازه نداد بر او وارد شوند. در این سه روز به گریه و زاری پرداخت و مرثیه می خواند و می گفت: الاهی آیا بهترین خلق خود را به مصیبت فرزندش داغدار می نمائی؟ آیا امتحان چنین داغی را به آنان وارد می کنی؟ الاهی آیا لباس چنین مصیبتی را بر تن فاطمه و علی می پوشانی؟ الاهی چنین بلائی را به ساحت آنها فرود می آوری؟ سپس عرض کرد الاهی فرزندی به من عنایت کن که اینک در پیری خود چشمم به او روشن شود و وقتی عنایت کردی مرا دلباختۀ محبت به او کن و بعد همانطور که محمد حبیب خود را به مصیبت قتل فرزندش داغدار نمودی مرا هم داغدار فرزندم کن. خدایتعالی به او یحیی را عنایت کرد و به مصیبت او داغدارش نمود. گفته اند دورۀ حمل یحیی مثل حمل امام حسین( ع )شش ماه بوده است. [↑](#footnote-ref-8)
8. بحار الانوار، جلد 23، صفحۀ 46- امام علیه السلام به سینۀ خود اشاره کرده فرمود: آه آه اینجا علم فراوانیست، اگر حاملی برای آن پیدا کنم. [↑](#footnote-ref-9)
9. علل الشرایع، ج2، ص 335- عرض کردم فدایت شوم( صاد )چه چیزی است که به پیامبر امر شد از آن غسل کند؟ فرمود چشمه ای که از یکی از ارکان عرش می جوشد، به آن آب حیات گفته می شود. این همان است که خدای عز و جل می گوید: ص و القرآن ذی الذکر. به او امر شد وضو بگیرد، قرائت کند و نماز بخواند. [↑](#footnote-ref-10)
10. علل الشرایع [↑](#footnote-ref-11)
11. سورۀ انسان، آیات 5 و 6 [↑](#footnote-ref-12)
12. شمس، 7- 8 و نفس و ما سویها فالهمها فجورها و تقویها [↑](#footnote-ref-13)
13. الذی علم بالقلم... [↑](#footnote-ref-14)
14. سورۀ نساء،98-99-الا المستضعفین من الرجال و النساء و الولدان الذین لا یستطیعون حیلة ولایهتدون سبیلا اولئک عسی الله ان یعفوعنهم.. [↑](#footnote-ref-15)
15. سورۀ نساء، 145- ان المنافقین فی الدرک الاسفل من النار. [↑](#footnote-ref-16)
16. بقره، 205- و اذا تولی سعی فی الارض لیفسد فیها و یهلک الحرث و النسل و الله لا یحب الفساد. [↑](#footnote-ref-17)
17. مائده،2- ...وتعاونوا علی البر والتقوی و لا تعاونوا علی الاثم و العدوان... [↑](#footnote-ref-18)
18. اعراف، 179- لقد ذرأنا لجهنم کثیرا من الجن و الانس لهم فلوب لا یفقهون بها و لهم اعین... [↑](#footnote-ref-19)
19. مدّثر، 24،25- فقال ان هذا الا سحر یؤثر. ان هذا الا قول البشر. [↑](#footnote-ref-20)
20. ابراهیم، 28- ألم تر الی الذین بدّلوا نعمة الله کفرا و اَحلّوا قومهم دار البوار [↑](#footnote-ref-21)
21. قصص،57- و قالوا ان نتبع الهدی معک نتخطف من ارضنا. اولم نمکن لهم حرما آمنا یجبی الیه ثمرات کل شیئ رزقا من لدنا... [↑](#footnote-ref-22)
22. سورۀ فیل،1الی5. [↑](#footnote-ref-23)
23. انعام، 141- انظروا الی ثمره و ینعه و اتوا حقه یوم حصاده... [↑](#footnote-ref-24)
24. عنکبوت، 67- اَوَلم یروا انا جعلنا حرما آمنا و یُتخطف الناس من حولهم. اَفَبالباطل یومنون و بنعمة الله یکفرون. [↑](#footnote-ref-25)
25. بقره، 126الی129- و اذ قال ابراهیم رب اجعل هذا بلدا آمنا و ارزق اهله ...و اذ یرفع ابراهیم القواعد من البیت و اسماعیل ربنا تقبل منا انک انت السمیع العلیم...ربنا وابعث فیهم رسولا منهم... [↑](#footnote-ref-26)
26. صافات، 24- قفوهم انهم مسئولون. [↑](#footnote-ref-27)
27. بقره، 124- و اذا ابتلی ابراهیم ربه بکلمات فاتمهن... و آیۀ 155- ولنبلونکم بشیئی من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الانفس... [↑](#footnote-ref-28)
28. ال عمران، 178- و لا یحسبن الذین کفروا انما نملی لهم خیرا لانفسهم. انما نملی لهم لیزدادوا اثما و لهم عذاب الیم. [↑](#footnote-ref-29)
29. اعراف، 182- و الذین کذبوا بایاتنا سنستدرجهم من حیث لا یعلمون. [↑](#footnote-ref-30)
30. زخرف، 71- یطاف علیهم بصحاف من ذهب و اکواب و فیها ما تشتهیه الانفس و تلذ الاعین و انتم فیها خالدون. [↑](#footnote-ref-31)
31. بقره، 165- و من الناس من یتخذ من دون الله اندادا یحبونهم کحب الله... [↑](#footnote-ref-32)
32. محمد، 11- ذلک بان الله مولی الذین آمنوا و ان الکافرین لا مولی لهم. [↑](#footnote-ref-33)
33. توبه، 104- الم یعلموا ان الله هو یقبل التوبة عن عباده و یأخذ الصدقات و ان الله هو التواب الرحیم. [↑](#footnote-ref-34)
34. توبه، 31- اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا من دون الله و المسیح ابن مریم و ما امروا الا لیعبدوا الله الاها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما یشرکون. [↑](#footnote-ref-35)
35. انعام، 164- قل أغیر الله ابغی ربا و هو رب کل شیئ و لا تکسب کل نفس الا علیها و لا تزر وازرة وزر اخری ثم الی ربکم مرجعکم... [↑](#footnote-ref-36)
36. سورۀ طارق، 9- یوم تبلی السرائر فما له من قوة و لا ناصر. [↑](#footnote-ref-37)
37. کافی جلد1ص 183- عن ابی عبد الله علیه السلام قال: ابی الله ان یجری الاشیاء الا باسباب فجعل لکل شیئ سببا و جعل لکل سبب شرحا و جعل لکل شرح علما و جعل لکل علم بابا ناطقا عرفه من عرفه و جهله من جهله ذاک رسول الله (ص) [↑](#footnote-ref-38)
38. کهف، 103، 104- قل هل ننبئکم بالاخسرین اعمالا الذین ضل سعیهم فی الحیاة الدنیا و یحسبون انهم یحسنون صنعا. [↑](#footnote-ref-39)
39. بقره، 228 [↑](#footnote-ref-40)
40. طارق، 17- فمهّل الکافرین اَمهِلهم رُوَیدا. [↑](#footnote-ref-41)
41. زخرف، 83- فذرهم یخوضوا و یلعبوا حتی یلاقوا یومهم الذی یوعدون. [↑](#footnote-ref-42)
42. شورا، 23- دالک الذی یبشر الله عباده الذین آمنوا و عملوا الصالحات قل لا اسئلکم علیه اجرا الا المودة فی القربی... [↑](#footnote-ref-43)
43. انعام، 91- و ما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله علی بشر من شیئ... ثم ذرهم فی خوضهم یلعبون. [↑](#footnote-ref-44)
44. انبیاء، 87- و ذاالنون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر علیه فنادی فی الظلمات ان لا الاه الا انت سبحانک انی کنت من الظالمین. [↑](#footnote-ref-45)
45. صافات، 147- فارسلناه الی مأة الف او یزیدون. [↑](#footnote-ref-46)
46. طه، 121- فاکلا منها... فعصی آدم ربه فغوی ثم اجتبیه ربه فتاب علیه و هدی. [↑](#footnote-ref-47)
47. 1- مومنون، 30- و ان کنا لمبتلین- 2- بقره، 124- و اذا ابتلی ابراهیم ربه بکلمات... [↑](#footnote-ref-48)
48. انبیاء، 88، 89- و ذاالنون اذ ذهب ... [↑](#footnote-ref-49)
49. روایتی در زمینۀ عصمت انبیا از قول امام هشتم علی ابن موسی الرضا علیه السلام به نقل از کتاب عیون اخبار الرضا (ع) را ذیلا به نظر میآوریم: و فی حدیث علی ابن محمد الجهم عن الرضا ع و قد سأله: یاابن رسول الله أتقول بعصمه الانبیاء؟ قال : نعم. قال فما تعمل فی قول الله تعالی: و عصی آدم ربه فغوی؟ و قوله تعالی: و ذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر علیه؟ و...فقال الرضا (ع): ویحک یا علی! اتق الله و لا تنسب انبیاء الله الی الفواحش و لا تتأول کتاب الله برأیک فان الله عز و جل یقول: و ما یعلم تأویله الا الله و الراسخون فی العلم. اما قوله عز و جل فی آدم (ع) فان الله عز و جل خلق آدم حجة فی ارضه و خلیفة فی بلاده و لم یخلقه للجنه و کانت المعصیة من آدم فی الجنه لا فی الارض، و عصمته تجب ان تکون فی الارض لیتم مقادیر امر الله عز و جل. فلما اهبط الی الارض و جعل حجة و خلیفة عُصِم بقوله عز و جل: ان الله اصطفی آدم و نوحا و آل عمران علی العالمین... و اما قوله عز و جل: و ذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن... انما ظن بمعنی استیقن ان الله لن یضیّق علیه رزقه . ألا تسمع قول الله تعالی: و اما اذا ما ابتلیه ربه فقدر علیه رزقه، ای ضیّق علیه رزقه. و لو ظن ان الله لا یقدر علیه لکان قد کفر.

از امام رضا علیه السلام سؤال شد آیا به عصمت انبیاء معتقد هستید؟ حضرت فرمودند آری. پرسید راجع به این آیه: آدم عصیان کرد؟ و آیۀ: ذاالنون با غضب از شهر بیرون رفت؟ چه می فرمائید؟ حضرت فرمود: وای بر تو ای علی بن جهم! از خدا بپرهیز و به پیامبران نسبت بد کاری مده. کتاب خدا را به رأی خود تأویل نکن. چنان که خدا فرموده فقط خدا و راسخان در علم تأویل آن را می دانند. آنچه خدای عز و جل در بارۀ آدم فرموده این است که خدای عز و جل آدم را حجت خود در زمین و خلیفۀ خود در شهر ها قرار داد و او را برای زندگی در بهشت خلق نکرد. معصیت او مربوط به بهشت است و عصمت او مربوط به زمین، تا تقدیر خدا کامل شود. وقتی به زمین هبوط کرد و خدای عز و جل او را خلیفه و حجت خود قرار داد معصوم شد آنجا که می فرماید: خدا آدم و نوح و ال عمران را بر اهل عالم برگزید. و اما آنچه در بارۀ یونس فرمود این است که او اطمینان داشت خدا زندگی را بر او تنگ نمی گیرد. نشنیده ای که آیه قران می فرماید: زمانی که خدا رزق را تنگ بگیرد؟ اگر گمان داشت که خدا بر او تنگ نمی گیرد کافر بود. [↑](#footnote-ref-50)
50. فلق، 4- و من شر النفاثات فی العقد. [↑](#footnote-ref-51)
51. استر ذهبک و ذهابک و مذهبک. [↑](#footnote-ref-52)
52. یوسف، 8 و9- اذ قالوا لیوسف و اخوه احب الی ابینا منا و نحن عصبه، ان ابانا لفی ضلال مبین. اقتاوا یوسف او اطرحوه ارضا... [↑](#footnote-ref-53)
53. شوری، 7- و کذلک اوحینا الیک قرآنا عربیا لتنذر ام القری و من حولها و تنذر یوم الجمع لا ریب فیه فریق فی الجنة و فریق فی السعیر. [↑](#footnote-ref-54)